

بذت الحكيمه

او

حياة عائشه وغرامها

بذت الحكيمه

تأليف

روائي الكبير الدائم المصير

« المر ويدر هجره »

بذت الحكيمه

عن تباة الجريده لاهرام

بذت الحكيمه

الجزء الثاني

بذت الحكيمه

كتاب من مكتبة البادية اول شارع محمد بن

لصاحبها مصطفى محمد بن

بذت الحكيمه

مطبعة مكتبة تجارية

الفصل الثالث عشر

مصير فرعون

لما ذهب فرعون وابنته ودعت فيلوا فشكرته على ما قدمه من الخدمات الجليلة وهديته بركات المعبودة فتقبلها جاثيا على ركبتيه . ولما وقف أقسم أن يقف حياته على خدمتي وأن يليي دعوتي ولو كان في اطراف العالم ثم أراني أيضا كيف أدعوه برموز مريه لم أغادره دون مكافأة . فقد أعطيته بعض اللالء الغالية التي أغدقها على تينس . هبة من المعبودة ثم ودعته بعد ذلك فأنصرف ولو أنه كان كل من سبق من هذه الأيست المقابلة الاخيرة

لم يكن هبة ابن يس وكاهنتها خير قدومنا حتى ازدحموا على مصيرهم لاستقبال روت رئيس الكهنة واستقبلنا رئيسة الكهنة فالتفتوا إلينا في المقدسة وساروا بنا في ممرات مجتازين شوارع بيت يس وكان يرفقتما كثيرون من بحارة السفينة على يديهم . على أن لاحظت أن واحدا منهم غير موجود فسال روت قدي

— أين الكاهن الكرانس ؟

وتسبح وأجاني قائلا

— أنتي هم أحدوه لي فصر فرعون لكي يعثني به حتى يبرأ من جراسه . من المحتمل أن يكون قد استقر في بيت يس . دعهم المعبودة مثوقا في سجنهم حاملين دمع الحرب والقتال ومع ذلك لا تنافي يا ابنتي

فان للذين وضعت ايزيس يدها على جبينهم لا بد أن يعودوا اليها في الحياة
أوفي المات
بحاجته قائله

— نعم لا بد أن يعودوا اليها في الحياة أوفي المات
وبعد ذلك لم أسأله شيئاً عن كالكراتس هذا

وصلنا الى الهيكل وسط ابتهاج الشعب بعودتنا سالمين فقد منا
للذبائح والقرايين ثم وضعت اللالي التي اهداها اياي تينس على تمثال
ايونيس المصنوع من المرمر داخل مقصورتها الداخلية التي لا يدخلها
غيري ورئيس الكهنة . وقد تقبلت المعبودة هذه الهبة اذ خاطبته
باسان نوت قائله

— اعلمي يا ابنتي اني رأيت كل ما جرى لكى وما سيجرى . وارا
كان البرارة يهددون البلاد وما فيها من الهياكل والمعبودات فمكثي
هنا الى اذ تتاتي كلتي بمفارقة البلاد . واني انسمنى وبقرئى أن لا
يصيبك سوء من معك أذى . وعلى ذلك امكثي هنا وتدعى ليصبر حتى
تتأقمني وامرى وافدلى ما أوحيه اليك حتى تصي ثمة آله مصر على
رؤس الكلاب الذين سيأتون لتدنس المعابد والهياكل

نطق نوت بهذه الكلمات وهو شبه غيبوبة لم يفقه شيئاً مما قل
حتى أحبرته به فيما بعد فانصت الى قولى باهتمام ثم أمرنى لطاعة قائلاً
— اضرع اليك يا ابنتي أن تطعنى ما أمرت به حتى ولو غبت عنك
مدة كما سيحدث ذلك فعلاً وقضيت زمناً طويلاً من مية سنة حدة والافرد
واذا غبت هناك فلا تطعنى انى انتقلت الى عالم آخر وانما عليك أن تطعنى
حتى تصلا رسالتى واذا ذلك لميك الطاعة اصبر ولو انى لا أدري كيف

يتم ذلك

تنقيت أوامر نوت هذه خنيت رأسي ووعيت كلماته في قلبي

بدأت الحرب بين المصريين والفرس فمزل نخت نبت قواده وتولى قيادة جيوشه بنفسه . وقد ساعده الحظ في البداية فوقع الفرس في كمين نصبه لهم في « براثرا » خبروا فيه الوفا عديدة من رجالهم غرقاً أو قتلاً ولكن جيشهم كان لا يحصى له عدد . وقد وقف القائد الاغريقم كلينوس - الذي شهد المأثرة التي أعطيت في خلالها الى تيزس ملك صيدا وشامدته فتبلا في رؤي - في وجه نيقوستراتس الجبار وقاتله الى أن هلك مع خمسة آلاف جندي من رجاله وبذا تحققت نبوتي

استولى العرب على قلب فرعون فغادر ساحة القتال وطاد الى مسف . واذ ذاك ذاعت اشاعات مختلفة على زحف الفرس . ولم تمض مدة وجيزة حتى جاءت الاميرة أمونارتس الى هيكل انزيس والتجأت اليه مستعينة سمعت ان أوخوس اسم أن لا يتعرف الى هيكل انزيس من بين اميين من المعبودات الاخرى في مصر لانها أم الجميع وعرشها في القمر وزوجها أوزوريس - ربح وهو أبو النيران التي يعبدها الفرس ، ولان كاهنتها قدمت اليه خدمة في الحرب وهي كلمات أثارت عجي

نعم جاءت أمونارتس الاميرة المصرية الى الهيكل ولبست ثوب الكهنوت لكي يحميها اذا جاء أوخوس الى المدينة . على انه اذا كان نوب الكهنوت قد غيّر وجهها وجسمها في أعين الناس فانه لم يغير قلبها من الداخل

جاء كالكراتس بعدها قادما من ساحة القتال في الدلتا حيث ابلى بلاء

حسباً وقام بأعمال جليلة تشهد له بالفروسية والشجاعة . وفي الواقع
حبري كالكرانس نفسه انه قاتل الجبار نيقوستراتس وجرحه ولكن
القتال بينهما لم يصل الى نتيجة حاسمة لان الجنود حملوا دليهما وفرقوا
بينهما .

ولما كانت الحرب قد وضعت أوزارها عاد كالكرانس الجندى وصار
مرة أخرى كالكرانس الكاهن وارتدى ثياب ايزيس . وعلى ذلك
تولى خدمة ممى . أم مذبح المعبود ، كالكرانس كاهن ايزيس وأموتاتس
الاصدية المصرية

لما جلست أنا مائسة على مقعد الرئاسة أراقبهما من خلف قناعي
أثناء دهن تماثيل المعبودة بالزيت أو اشترا كهما في الحفلات المقدسة
وتربكات الشكر والحمد . وقد لاحظت أثناء مراقبتهما انهما كانا يقتربان
كما وكانت هناك قوة سرية تجذبهما معاً ، وانهما كانا ينظران دائماً
حرف خفى فتاتني نظراتهما ثم تفترق ، وان ثوب أحدهما كان - كلما
سحت الفرصة - يحتك بثوب الآخر أو تمس يدهما يد الأخر
س . لاحظت كل هذه الاشياء في صمت وسكوت لا أدري بماذا تحاكي
المعبودة هذين العاشقين اللذين تجرأ على أن بدلنا معبدها المقدس
شهوتهما الارضية . نعم عجبت كثيراً ولو اني لم أفكر طويلا في
ماهية هذا الحكم ولا على يد من قصت يد القدر أن تنفذه فيهما
أخيراً جاء فرعون وقال

— لقد جئت طالباً الاحتماء تحت جناحي ايزيس فساعدني يا بنت

الحكمة .

فاجبته بسخرية قاتلة

- اسمع كلمات غريبة من فرعون الذى اعطى هذه الكاهنة معينها
الى ملك شرير من عبدة البعل
فتأوه فرعون وقال

- كفى تأييداً . لقد قلبت الايام لي ظهر الجبن كما قد قد . قدما لك
يوما ما . لقد سارت الاحوال في مجراها الحسن في البداية هزمت
جيوش الفرس ، شيدت المعابد للالهة ولكن حجب القدر عني وجهه .
والان ... والان

نعم حجب القدر عنك وجهه ، أندري ماذا ؟ لا لك م تحسن الالهة
التي شيدت لها الهياكل والمعابد وقدمت الذبائح سرراً للبعل وشمسورث
وافروديت الاغريقية . كلا لا تنكر لاني أعرف كل شيء ، ثم اسطيتني
لتينس السفنك الذي قدم ولده ذبيحة للاسنام لكي تختم رسالتك هذه
على غضب الالهة عليك

زعمت انه سيقتلني لا محالة فلم اكثرث لان قاضي كان منة لابلآلام
والاحزان لاسباب عديدة على انه لم ينال شيئاً من ذلك . رجع بي
أن أصفح عنه وأن أكف عن سلمته بلساني الحياء وأن أسد به النصيح
والارشاد فاصغبت اليه وقد لاني قلبي له ورثي لحالته ثم أجبته قائلة

- اسمع الي أي فرعون . اذا وجدك أوخوس هنا سحر منك
وعذبك حتى الموت وقد سمعت انه سيأتي بك أمامه ثم يكرهك على
ان تقدم قرباناً للنار التي يعبدوها ويهيم على تماثيل وعبوداتك ثم يلقيك
الى السجل ايدس لينطحك حتى يقضي عليك أو يشد وثاقك على مذبح
بتاح ويمدبك الى أن تسلم الروح . على اني سأربك طريقاً تنال به مجداً
وفخاراً ينتقل ذكره من جبل الى جبل ، فعليك أن تجمع فلول جوشك

وتحشد قواتك في بلاد النوبة الى أن تسمع بموت أوخوس وضعف
الفرس واذ ذاك ازحف بجنودك واسترد بلادك وأعده اليها بمجدها
وفخارها وبهذا العمل تتمي غضب الالهة وتزال رضاها

لمعت عينا فرعون ببريق للكبرياء بعد أن كانتا مغرورتين بالدموع
ثم رفع رأسه بتناقض كأنه لا يزال يشعر بشقل التاج المزدوج والشعبان
الذهبي على رأسه . ونظار بتخار كما ينظر في اليوم الحى سنعرض فيه
جيوشه الظافرة في صا الحجر بعد نهزام الفرس في امرك لاوى . نعم
انتفخت أوداجه وشمخ بانفه كأنه حوتيس الاكبر أو رعسيس العظيم
في ابان عظمتها ومجدها . أخيراً تتم قائلا

— نعم هذا خير ما استطيع عمله واذ ذاك ربما تصفح على الالهة
التي خنت عهدهما ، الالهة القديمة التي جثا أمامها ملوك لاثنين سرقة من
ملوك مصر العظام . راكن أخشى أيتها السكاهة — وهذا عمت وجهه
دلائل السكاهة والحزن ثابته — أن لا أجراً على هذا —
— ولماذا أي فرعون ؟

— لاننى عقدت ايماناً منذ سنين مضت مع قوة من العالم السفلى
أو قولى اذا شئت مع قوة شريرة لا أدري من أين أتت فقد نحسنت
أمامي ووعدتني بالفخار والمجد اذا قدمت اليها ذبيحة هي . . كلا
لا أقول ولكن كان لي ولد مثل تينس ...

فاقشعر جسمي أما هائلة على اننى أردت أن أقف على كل شيء ومرته
أن يتسكلم فاستطرد في حديثه قائلاً

— تم الاتفاق بيننا على أن أشيد الهياكل والمعابد ارضاء للشعب
ولكن كان علي من جهة أخرى أن أدنس هذه المعابد بوسيلة ما . وقد فعلت

ومع ذلك بقيت معبودة واحدة خارج دائرة الاتفاق لان «شيطاني»
أنذرنى قائلاً إنها أقوى منه بأصاً وحذرنى من اغضابها
نعم أسكت فوالله قاتلة

— رهي تهي المعبودة ايزيس ؟

— نعم أيتها الكاهنة ولدا لم أنرض له وفدمت اليها وحدها
صلاقي . وقد سار كل شيء في مجراه الحسن فشدت الجيوش وهزمت
للفرس في مواقع عديدة وتحالفت مع كثير من الملوك ولم يساورني
أقل ريب في قدرتي على كسر الفرس مرة أخرى ، الاستئذان : ملك العالم
الى ان جاءت تلك الساعة الملعونة ، ساعة المأذبة التي دعيت اليها أيتها
الكاهنة لتعلمني نموتك . ثم كذفت عن ملائمتك الفتاة أمام تينس
ونسيت ذاك الانذار فاعطيتك لتينس متمكاً بذئك حرمة ايزيس في
شخصك .

— ألم احذرك يا فرعون وألم يندرك نوت القديس ؟

— نعم حذرتني ولكن الحاجة دفعتني الى تجشم الاخطار أو اني
نسيت . ولعمري ساءت أحوالي منذ تلك اللحظة وارتكبت علماً أثر
غلطة فوثقت تينس ولكن تينس خدعني وخانني ثم توليت قيادة جيوشي
فانتصرت في المعارك الاولى ولكن الخوف استولى علي ففادرت ساحة
القتال وجئت ملتجئاً اليك

فتأثرت نفسي ذنية وأجبتة قاتلة

— لا تزال الطريق التي رسمتها أمامك . واعلم انه مهما تكن أسما لنا
سوداء شريرة فان الندم دائماً مستطاع والاضاع كل أمل لخطائي
ومن فضائل الندم انه يهذب النفس ويدفعها الى الاصلاح . فاذا تاب

الإنسان على النضال والكفاح متسلقاً الصخور الوعرة، مجتازاً المستنقعات والوهاد المففرة تعميه الدموع وظلمة اليأس الموحشة فإنه لا بد أن يرى في النهاية شمس الغفران الحلوة وهي تشرق عليه بنورها البهي المقدس الذي لا يمثله نور في العالم فاصغ الى نصيحتي واعمل بها واجمع جبهوك وءسك ربها في الجنوب الى أن تحين الفرصة

— من . لم لا ؛ لا تزال لدى ثروة طائلة جمعتها لمكاخة الطوارىء
غيرها تستطيع أن تجمع حوى جيشاً من الاصدقاء ولا نصار وأعيش بين الاحباش حتى تنهيا الى الفرصة لد ملكي المفتتت .

— اذا كان قد استقر رأيك على السفينة جنوباً أى فرعون فهل لك أن تأخذ معك ابنتك الحسناء الاميرة أمونارأس ؟

فاجابى بحدة قائلاً

— كلا . لانها تسلف من وقت الى آخر بلسانها الحاد . فدعيتها تمكث ههنا خلف ستار ايزس وفي حماية المعبودة . ولكن لماذا تسأليني ذلك يا سيدتى ؟

— لاجل ايزس . لان هذه الاميرة على ما اعتقد تداعب كاهناً انذر نفسه للمعبودة ولا أخالك تجهل ان ايزس تغار على خدامها فلا تطيق أن يترك أحد كهنتها هيكلها اكراما لامرأة فانية
— من هذا الكاهن ؟

— رجل اغريقي يدعى كالكراس

— ننى أعرفه أيتها السيدة فهو رجل جميل مثل ابولو وشجاع كذلك . قام باعمال جليلة فى ساحة القتال حيث نازل قائداً جباراً وجرحه . وكذا اذكر انه كان ضابطاً في حرسى قبل أن يصير كاهناً

وانه وقع في ورطة لا أدري ماهي غير ان ابنتي امونارتس تشفعت له .
والآن اذا كان وجود هذا الكاهن يغضبك فانه لا يزال هناك من
ينفذون أوامري فارسلي في طلبه واذا شئت أمرت بقتله . ن حياته
في يديك ولا بد أن يجرى ذمه تحت قدميك . ولعمري سأصدر أمرى
بقتله في الحال اذ قلت انه انتهك حرمة المعبودة وأغضبك أنت كاهنتها
ثم رفع يديه ليصفق ويدعو رسل الموت فدفعت يدي بين يديه
ومنعته من التصفيق قائلة

— كلا . ان هذا الجندي كاهن من أحسن خدام المعبود فايزيس
وقد قاتل دفاعا عني في البحر فلا يجوز قتله لسبب ضعيف كهذا . غير
اننى اضرع اليك أيها الملك أن تأخذ معك ابنتك الاميرة أمونارتس
في رحلتك الى الجنوب
فاجابني متألما قائلا

— حسن . اذا كانت هذه وادتك فلتكن وسأخذ الاميرة معي
اذا أرادت ولو انه ليس في مرافقتها راحة لى
ثم حياني باحناء رأسه وانصرف . وكانت هذه آخر مرة وقعت
فيها عيناي على وجه نحت نبت فرعون مصر لاننى غادرت مصر قبل
عودته كما سيأتى ذكر ذلك في حينه
راقبت فرعون أثناء خروجه وأنا لا أدري هل أحسنت أم أسأت
في الحيلولة دون قتل كالكرايس . وقد خطر ببالي أن موت هذا الرجل
سيكفني شر متاع عديده وقلت لماذا لا يموت مثل غيره ممن انتهكوا
حرمة المعبودة ؟

القيت على نفسي هذا السؤال فجاءني الجواب من داخلي قائلا انه

لم يخطئ في حق المعبودة وحدها بل أخطأ في حقى كذلك بتفضيله امرأة أخرى علي فهل بالغ في الضعف يا تري الى حد أنى لا يستطيع الثبات في وجه امرأة أخرى اذا شئت؟ كلا ومع ذلك كانت غلطتي انى لم أشأ ذلك الآن علمت الحقيقة فادركت ان جسدى الشار يتمنى ما رفضه الروح . فكانت روحي بعيدة عن هذا الرجل في حين كان الحسد يريد قربة . نعم كان الجسد يقول : « لية تل خير من أن تتمتع » امرأة أخرى « في حين كان الروح يقول : ما شأنى به ؟ دعينة يسر في طريقه . وسيرى انت في طريقك . ولا تلتطخي يدك بدمه قبل كل شيء » وعلى ذلك تركته يذهب في طريقه غير عالمة ان يد القدر قضت أن تلتطخ يداى بدمه وأن أنوص فيه الى عيني . نعم أنقذته من سيف نحت — نبت وتركته وشأنه مصحمة على أن لا أفكر فيه به . لأن ولكن خدعتني يد القدر في هذا الامر

جلست في صباح يوم التالي في ظلمة المتصورة المزعجة ، صلي الى المعبودة وأتوسل اليها أن تخفف عني أوحاع قلبي المتألم لاني حاولت والأسفاه عبثاً أن أخفف لوعته فلم أستطع . وفيما أنا جالسة دعاءني كاهن بلباس أبيض واذا به كالكراس نفسه ولكنه كان قد تغير كثيراً عن ذاك الجندي الشجاع الذي رد غارة الفرس عن السفينة « هان » وعن ذاك البطل الذي قاتل نيقوستراتس الجبار . ولا عجب فقد خلق شعر رأسه الذهبي ثانية ونخل جسمه من أكل الفواكه والماء . وهو ما يقنات به الذين أنذروا أنفسهم للمعبودة ايزيس . وكان هذا الطعام يكفينى أنا التي لا أدوق طعاماً آخر ، أو يكفى شيخاً هرماً مثل نوت ولكنه كان لا يكفى بلا مرء رجالاً مثله قوى البنية قضى حياته أنضرب

والطام ان : وفوق ذلك كان يبدو على وجهه دلائل الاضطراب الروحي .
مر كالكراتس في دون أن يراني ثم سار الى أن جثا أمام تمثال المعبودة
وأخذ يصلي ويتوسل بجرارة طالباً المعونة والمساعدة

أخيراً قام من صلاته ومر بي ثانية فلاحظت اذ ذاك ان عينيه
مغزور ورفتان بالدموع فاردت تعزيتيه . وفوق ذلك رأيت انه لا يزال
يلبس الخاتم السحري الذي وضعته في أصبعه على ظهر السفينة

خرج كالكراتس الى الرحبة الخارجية ذات الاعمدة الى أن انتهى
الى صومعة خرجت منها أمونارتس الاميرة السمراء الجميلة . ولم يكن
من الصعب معرفتها لانها كانت قد نزعَت وشاح ايزيس عنها لسبب
لا اعرفه وارتدت ثوباً ملكياً رقبياً كشف عن كثير من أجزاء جسمها
المليح في حين رأت حول شعرها الاسود الطويل الثعبان الذهبي وفي
جيدها قلائد من الاحجار الكريمة الغالية

قلت في نفسي انها التقيا على اتفاق ولكن اخطأت في زعمي هذا
لاني شاهدت كالكراتس ارتجف خجاة وحاول الفرار ثم غطي هيبته
بيديه كانه يحاول أن يحجب ملاحظتها عن ناظره

رفعت أمونارتس اذ ذاك وجهها اليه كمن يضرع ويتوسل ولما لم
يضع اليها امسكت يديه وجذبه الى ظل عمود من الاعمدة في الدهليز
حيث مكثا مدة طويلة لان المكان كان مهجوراً في تلك الساعة

أخيراً ظهر الاثنان عند طرف الظل فرأيت الاميرة تطوقه بذراعيها
وقد اقلت رأسها على صدره ثم افترقا فاختفت أمونارتس في الظلام
وسرت في سبيلها في حين بقي كالكراتس يروح ويحي في رحبة الهيبكل
وهو يتمتم كمن لا يعي شيئاً

غادرت مكاني ثم جئت اليه وخاطبته قائلة
— أراك مضطرب الفكر كاسف البال أيها الكاهن . هل رفضت
المعبودة صلاتك وتوسلاتك أو هل ملأت الحياة في المعبد وتدفقت
نفسك الى امتشاق الحسام والضرب والطعان كما فعلت على ظهر تلك
السفينة هابي ؟ اذا كان الامر كذلك فليس هذا وقته لان فرعون غدير
البلاد الى الجنوب، هذا اذا لم تعمل مثل مننوه وتبيع سيفك لاوحوس
ملك الفرس

— نعم هو ما تقولين أيتها الكاهنة . فقد ضاع كل شيء وصمت
أيضا أنا الذي تلمب بي يد القدر وتدفعي الى مصير مملوء بالمتاعب
والشرور .

— تكلم اذا شئت أيها الكاهن أو الزم الصمت اذا أردت لان
الكاهنة لا تدوح لاحد بسر الالام وحدها .
ثم تحولت وعدت الى ظلال المقصورة وتكأت الى عمود من
عليه على ما اذكر صورة المعبود نوت وهو يزن القلوب أمام المعبود
أوزيريس . وهنا انتظرت وانا لا ادري هل يتبعني كالكراس أو ليس
في سبيله

وقف كالكراس متردداً هنيهة ثم التحق بي وخاطبني بصوت
مبحوح قائلاً

— أيتها الكاهنة ، اخاطبك الآن في ظن المعبودة ايزيس . طالما
اعتراني هذا لا يفشي ومم ذلك أرى من الصعب التكلم لان الامر
يتعلق بأميرة وبك أيضاً أيتها الكاهنة القديسة
— تكلم أيها الكاهن ولا تخش شيئاً

— اعلمى انى عشقت فى السنين الماضية اميرة لا اخالك تجهلها .
والظاهر انها عشقتنى كذلك . وقد افضى غرامنا هذا الى قتل أخى
وتلغىخ يدى بدمه كما تعلمين وأخيراً هربت ملتجئاً الى المعبودة طالبا
الصفح والغفران . واظن ان داخلى فى نفسين : نفس تتعلق بالروح
والاخرى بالجسد

فتمهدت وأجنته قائلة

— هذه حال كل مخلوق تحت الشمس

— خلقت جندياً مولعاً بالقتال جميل الوجه ولو انه لا يخطر هذا ببال
أحد اذا رآنى الآن فى ثياب الكهنوت هذه
فتمسكت قليلاً وقلت

— رأيتك لا بساً عدة الحرب والكفاح ومن السهل معرفة أصلك
— أتيت بما يأتيه الجمود من الفعال فشربت الراح وتمتعت بضروب
اللاس والطرب وجثوث لافروديت وهمت بحب النساء وقاتلت بشجاعة
واقدام وأخيراً تاقت نفسى الى المعالى فالحقت مع أخى بمخدمة فرعون
ولا ريب فى انك تعرفين ما حدث بعد ذلك

حينئذ رأيت علامة الايجاب فاستطرد فى حديثه قائلاً :

— ذهبت الى « فيلى » واعترفت بجميع خطاي وقطعت اليهود
الاولى وذهب بى للكهنة فى ساعة معينة من الليل الى المقصورة لداخلية
لكى أرى المعبودة ثم غادرونى فرأيت شبحها يتوهج فى الظلام
بصورة بديعة

ارتجف جسمي اذ ذلك وأخذت أراقبه بعمدة من خاف قاعى
لاقف على مبلغ علمه فى حين استطرد فى حديثه قائلاً

— استولت علي قوة اذ ذاك وشعرت كأنما عادت الي ذكرى بعيدة —
 ذكرى ووعده . وقد حملتني تلك القوة التي تملكنتني الى احشاء رأسي
 لكي اقبل شبح المعبودة وانذر لها روجي . وقد مال الشبح
 برأسه كذلك فالتقت شفتي بشفتيها ويا عجباً كانت شفتها كشفتي
 امرأة من البشر ولكنهما أحلى وأجل

— ن المعبودة مصورة جميع الاشكال أيها الكاهن ، ولكن لانظن
 انها نسيت العهد الذي قطعته معك على هذه الحال . واعلم انك انذرت
 نفسك لها منذ تلك اللحظة ولا ريب في انها ستطالب بك يوماً ما اذا
 بقيت محلماً لها محافظاً على عهدها
 فاستطرد في حديثه قائلاً

— مرت السنون فبقيت حافظاً لعهدي الى أن ساقنتي يد القدر
 الى هنا في منف فوقعت عيناى عليك هنا في الهيكل أيتها الكاهنة
 واذا ذاك نعمت ان اعبدك من بعيد لا بالحسد بل بالروح لانك في
 عيني كما يسميك طامة الناس : « ايزيس على الارض » وكلما وقعت عيني
 عليك اذكر تلك الرؤيا المقدسة التي مست شفتها شفتي داخل المقصورة
 في فيلي^١ . فترين اني اعبدك بالروح ولو ان ذلك لم يخطر لك ببال
 من قبل

لزممت انا مائشة السميت وملت الى العمود لان قواي خارت وتملكني
 الضعف حتى كدت اسقط على الارض ، ومع ذلك لم ابدأ حركة
 يمكن أن يفهم منها اني كنت تلك الكاهنة التي لعبت دور ايزيس في
 مقصورة الهيكل في جزيرة فيلي . أخيراً قات
 — هذا حسن . لا ريب في ان المعبودة ستشاركك في الساعة المهيمنة

ولكن مما تشكو أيها الكاهن ؟ ليس من الاجرام أن تحب المعبودة بالروح .

— نعم ولكن ما قولك يا سيدتي إذا كان الرجل الذي أحب المعبودة بالروح وانذر نفسه لها وحدها الى الابد — يعشق امرأة أخرى بعده وبذا يكون قد خان عهد السماء وعهد نفسه في وقت واحد ؟

فاجبته بصوت خافت قائلة

— اذن اخشى أيها الكاهن أن يكون الامل بخلاصك ضعيفاً ولكن اعلم أن المغفرة لا تمسك عن كل ما تاب وأناب فقط يجب أن تبادر الى التوبة مادام هناك وقت فتنبه كالكراس وقال

— هذا حكم قوله سهل وتنفيذه صعب أو هذا على الاقل مأقواء في رجل وقع في شرك غرام امرأة لا يمكن أن ينكر حبها ؛ امرأة تمسك قلبه في راحة يدها وتمصره عصراً ، امرأة بريق عينيها كالجم يهدي الضال في الظلام ، امرأة أنفاسها كالطيب وشنتها كالشهد . امرأة قطعت لها اليهود المقدسة . ان المعبودة بعيدة عن العين أما المرأة فقريبة منا دائماً وفوق ذلك اتفقت الآراء بين الرجال على ان اليهود اني تقطع بالشفقة لا تمقض لفائدة الروح

— هذه حجج قديمة يتردد صداها من وقت لآخر بين حذراني هياكل افروديت ولكن ايزيس لا تعرفها . لقد اعطى الجسد اللاهوت لكي يتعلم كيف يحتقره ويطأه تحت قدميه ، ثم اعطيت له الروح لكي يتعلم كيف يصعد الى السماء علي أجنحتها . فالويل للذين يختارون الجسد وينبذون الروح . أقول ان الدم لا يزال ممكماً وسيأتي الاصلاح

بعد الندم ، وبعد الإصلاح الصنع والغفران
اطرق كالكرايس هنيئة ثم قال

— لقد نددت أيتها الكاهنة على ما فرط مني لاني أود قبل كل شيء
آخر في العالم أن أصل الى تلك النهاية التي طالما طلبتها في ساحات القتال
وافنى بها الانضمام الى المعبودة التي تمثأت أمامي في شكل القديسة
التي رأيتموها في مقصورة الهيكل في فيلي . نعم أريد الانحاق بها دون
سواها . ولكن من أين لي السلاح أنا الذي أشبهه بشيء باسد وقع في
شرك نسجت خيوطه من شعر امرأة ؟

نظت اذ ذاك اليه نظرة فاحص مدقق برأيت انه لم يفته بغير الصدق
وعلى ذلك أحبته قائلة

— ان المصفور المحكم يعلم بعيداً عن الشرك الذي يراه منصوباً
في طريقه . سبعة نوت غداً شمس ليقل ، من رسل القوس السكي
يتفق معهم على حماية الهيكل وسيلانته فهل لك في مرافقته دون أن
تبوح لاسد شيء من غرضه وذرك ؟ اذا غمات بمشورتي هذه
فستجد في النهاية تلك المعجزة التي التفت شفهاها بشفتيك في فيلي
هنا . أو في مكان آخر

فكر اسكندر ، دليلاً ثم تنم قائلاً

— من الصعب بل من المستحيل جداً أن أقوم بهذا . ومع ذلك
سأسافر معه ، أنا الذي أريد ارضاء لروح لا الحد
وبنيت يسكنكم ذنوب . دقة به مكاها ط ، لهاته . وسارت

من ظال الى ظال فلم يكثر بها على زعم انها احدي الكاهنات اللاتي
يقمن بمرافعة المقصورة في مثل هذه الساعة وكذا لم يرها كالكراسي
أو يكثر بها لانه كان سابحاً في لجة عميقة من الافكار

الفصل الرابع عشر

اغراء باغوس

حان في نوت تلك الليلة فودعني قائلاً

- سأسافر شيئاً لا كما أسرت لعلى احد - غط هياكلنا والذين يتولون الخدمة فيها . ولا أدري هل أعود ولا متى أعود وعلى ذلك يحزنني اي ابنتي في الروح أن أغارقك في هذا الوقت المصيب . على ان الاوامر التي تلقيتها نلتهم على السفر منفرداً وتقضى ببقائك هنا .. ولتـ .. زينتك اقول انه لن يصيبك أذى كما اخبرتك من قبل وانما سنلتقي مرة أخرى بالجسد ولو طال الامد وعلى ذلك انتظري الى أن تأتيك كلمتي

خبيت رأسي اذما لا امره ثم سألته هل يرافقه أحد فاجابني قائلاً - كلا يا ابنتي وانما سيرافقني بعض الرفاق بينهم كالكراتس الاغريقي الذي طاب الي ان اصبح له بمرافقتي . ولما كان من رجال الحرب كانوا يملكون فقد يكون ذا فائدة في مثل هذه المهمة ولا أدري من أين علم بنبأ سفري هذا

ثم نظر الي نظرة ملؤها الشك والارتياب فاجبته قائلة

- أنا التي اخبرته ولا تسألني انزيد يا بُت

فتبسم الشيخ وقال

- لا حاجة تدعوني لي سؤلك على ما أعتقد . قد يهلك أن

تعلن ان ترعون قرر السفر جوباً في الغد - وقد شبه راسه فينته بكنز ثمين سينقذه في تمزيق قواته واستمالة حلفاء له

... ليجد فرعون عزاءه في منقاه بين الاحباش
 — ولكن كيف يلقي فرعون الآلهة ودماء مخضبتيان بالدماء ؟
 — لا أدري يا سيدي ولكن ألم تكتب يد الله قدر السقوط على
 الخطئين ؟ وهل تغضب الآلهة من الاداة التي تستخدمها ؟

فاطرق نوت هنيهة ثم هز رأسه وقال
 — القى هذا السؤال على أبي الهول الذي يجلس هناك وسط الرمال
 بمخائب اهرامات الملوك السابقة يفكر كناية ولو في خرافاتهم ، في أسرار
 الارض والسماء ، أو القوم هذا السؤال ، وهو هناك بعد مدة دوة الجسد
 فربما فسر لك أحد الآلهة لغز الدالم أما هما على الارض فلا يمكن
 تفسيره لان من يستطيع قراءته يكون في مصافه الآلهة . لا با من
 اقتراح الخطيئة يا ابنتي ولا مندوحة من وجود خاطئين ، ولكن
 ما فائدة الخطيئة ؟ لا أدري ، هذا اذا لم يتولد منها الصلاح والنهاية .
 ولعمري في وسع الخطيء أن يقول معتدراً انه ليس الا — هما في قوس
 القدر وان السهم يجب أن ينطلق الى الهدف الذي يصوبه اليه الرامي
 ولو شرب هذا السهم من دماء بريئة ، فيتم أطفالاً ودملاً نساء
 — ولكن لما أن تقول يا أبت ان هذا السهم — أو الحري هذا
 الخطيء — صنع نفسه لسفك الدماء والقتل وأنه انفي الخشب وصبر
 السنان وجهاز النصال بريش الاغراض مع انه كاذ في وسعه — اذا وقع
 اختياره على أمر آخر — ان تترك الشجرة التي صنع منها فوسه فتحمل
 ثمرأ أو يصنع منها عكازاً يتوكأ عليه امحزبه أو دها العدة لمحمليها
 الملوك .

فتبسم نوت ابتسامة رقيقة وقال

— انك حكيمة يا مائفة ولعمري لم ألتفت عقلك واربيك عبثا
ومع ذلك أوصيك مرة أخرى ان تحمل هذا اللغز اذا ما غابت شمس
حياتك الى أبى الهول الذى يفكر في السماء فوقنا وعلى الارض تحننا
وفي صدر كل طفل يولد لكى تقف على جوابه

نطق نوت بهذه الكلمات ثم أشار بيده دليلا على انتهاء البحث
والمنافسة . على اني لم انس ما دار بيننا من الحديث وكم التقيت هذا
الاستؤال أو بالحري هذا اللغز على أبى الهول الرابض في صدرى وانتظرت
جوابه وذلك كلما شعرت أو زعمت بان شمس حياتى أوشكت على
الانروب لاننى وأأسفاه لست خيراً من نخت — نبت لانه اذا كان فرعون
حاش عهد الالهة افلم اخن عهدا ايضاً انا التى تقربت اليها أكثر منه ؟ واذا
كان قد سفك الدماء ارضاء لغضبه وشهواته افلم اسفك الدماء كذلك
— وربما سفكت دماء أخرى قبل أن تبنى النهاية — عند ما تملكتنى
روح الرغبة التى لا تقهر ؟ واذا كان قد فر الى الجنوب حاملاً زهرة
مصر افلم افر انا الاخرى حاملة الكنوز التى منحها — من تبحر حكاى
المالية وتلال معارف الذهبية ، وتمثال ملاحى المصنوع من المرمر
وعطر قوتى وبلاغى ثم أيامى الطويلة التى كان فى مقدورى استئدامها
في صلاح العالم ومنحه الطمانينة والسلام

هم ألم افر ، أنا عثة ، بجميع هذه الكنوز الغاية في صدرى
فندستها في الصحراء القاحلة ؟ ألم اترف كل ذلك لاجل غاية اردتها ثم
لم افر بغايتى سار العالم عدوي الاله ، ولكن هل ألام على ذلك
كده ؟ وهل يلام ذاك الزحل الاعشى الذى لم يستطع أن يري معنى
حسنة لاعبي الجبل الذى كان في قبضة يده قنار بعمله هذا نائرة

جنونى ، وهل تلام أيضاً تلك المرأة التى اعمت عينيك الميتين بالبلوم
التي تملتها من آلهة الفس ؟

أراءه لا ادري . ربما فى وسعها أيضاً بروباقة عسة أخرى أمام
كرسى العدالة لا يستطيع الاحابة عليها لانهما كذلك صنعاً سميهما
من حشب الطروف الذى نمت شجرته فيما وراء العالم . لقد اقتربت
أمتي منى ثانية . انها تتألق مثل فاكهة نضرة فوق شجرة الحياة وقد
مددت اليها يدي لقطفها . نعم انى أقف الآن على أطراف أسابي
فكملت أمها انا املى ولكنهم اشد اذنانهم فسادهم ، مما العمل
اذا انحوت الى تواب وتعت من حرارة شمس حياتهم ذائبه ان يستها
أصابع يدي التي لا غوت ؟

اواه ! ان يدي يشتغل بصيد الذعرش فوق الجدار كما ان
وانى التي نسى امر الرنس تجاردهم الهاتى « مدنة السموات » نادر
كم دتها لي لاسئس لتفضي على . . . يدي يكرأني
الهل على ذمة
هذا انى . . . عن الاجابة اب انى نالم بأذن
أدرياً . . .

— ما الذى فى انى . . . أمونا نسر ؟ علم ياأت نى سـ . . .
هذه المرأة

— نعم ياأتى لا اعل ذلك ولم انى افية الهيكل تصيق كما
عل الساع . . . انى نيك هم نيك وانها متبجر غداً
— شالا ؟

— كلا . جنوباً مع أيها نخت . نبت ، أو هذا ما اخبرني به انى

وكنيت أراقبه عما لهم هذه ولا أقول بدين خريف لأنني في الواقع شعرت بالخوف يتسرب الى قلبي ومع ذلك كنت أشعر في داخلي بروح الكبرياء فأمرني أن أخذ جذوة هذا الخوف . وكذا كانت تعمل في صدي ناري الايمان التي كان نورها هاديا لي دائما في ظلمات الناس وانسقوط . لقد أخبرني فوت أنه لم يمسن ولا الذين معي أدي وبوت لا يكذب وفوق ذلك كنت أسمع أثناء صلاتي في الليل صوتا عميقا يهديني أن لا تخاف لأن هناك قوات غير مسطوذة تدافع عنى وتحمينى وهكذا حصلت داخل الهيكل . حيرة لا اسرلى ولا معين ، شجع اولئك انكسرة والكاهنات الذين يمعنون معى . وقد استمرت المسادة دائرة في الهيكل كالعادة فكان مثال المعودة دا هن كل صاحب انواع الطيب والعطر وتقدم القرابين وتسير مع الكاهن والكاهنات في ادية الهيكل وهم يرتلون لاغنى المقدسة وصلت هذه الاعمال الى مسامع الفرس فاحتشدوا خارج الابواب وقد تولاهم الدهشة قائلين :

— من هؤلاء الذين لا يخافون ؟

هى انه لم نخرجوا مع أن شجع الموت كان يحملى في وجوهنا في كل ساعة رجين

أخيرا وصلت هذه القصة الى مامع اوخوس نفسه فجاء الى زيارة الهيكل مدفوعا بما تولاه من العجز والدهشة . فاستقبلته في القاعة الكبرى حيث جاست مقنعة في كرمى الراسية تحب قدمى المعبودة يريس . وكان برفته لقيف من كبار وزرائه وحاشيته يرتدون ثيابا حربية مروح منه رائحة الطيب . وقد شاهدت بينهم للقائد الاغريق

مستور الذي عرفته في صيدا قبل أن يخون أهلها وينضم برجاله الى
الفرس . وفوق ذلك رأيت باغوس الخصى والوزير الاكبر لملك الملوك
واللائد العام لجيوشه . وكان مثل غيره من هؤلاء التمساء غليظ الجسم
ويعم الصوت ناعم البشرة بحرك يديه عند الكلام .

وكان باغوس هذا مصري المولد فخطرت ببالي فكرة صائبة فقلت
هل رضى مصرى أن يرى هيكل ايزيس ؟ - دم وكهنتها يقضى عليهم
ربما لم يكن من عابدي بتاح او ابيس ولكنه يحل بلاءه اراء المعودة .
ايزيس كجميع المصريين . ومع ذلك من يدري ؟ اهم يقولون ان باغوس
هذا رجل ماكر ، وصل الى مركزه هذا بفضل ما ارتكبه من الجرائم
فقل هذا الرجل الذي لا يمه غير نفسه قد ينسى ايزيس وغضبها .

وقف او حوس أمامي ، مدلى الشفتين قامى الوجه ، تم عيناه على
الذكرباء والارعاج في رقت راحدهى حال القتلة الذين لا يرتابون
في سبأى يوم فيه يقتلون كذلك . خنيت له رأسي تحية والتقيت
عليه وهو لا يدري لعنة ايزيس من خلف قناعي

شار او خرس الي بصولجانه ثم قال بصوت غليظ وهو تمهل .

— ما هذا ؟ هل هذه احدى الجثث الملقوفة الهى أخرجهاها من
دورها واستعملناها وقوداً لطبخ المعبود ابيس ؟ كلا . لأنني أراها
تمحرك واسمها تشكلم وشكلها شكل امرأة . تقدم يا باغوس وجرد
هذه المخلوقة من قناعها لكي نرى هل هى امرأة وادا كانت كذلك
فما شكلها .

صممت أنا طائشة قوله هذا طادت الي جميع قوتي المفقودة كما
هى دتي ان ما أحدثت بي الاخطار وفي الحال وضعت خطتي وكانت

وحيلة بسيطة وهي : اذا تقدم هذا الخصى منى جردت خنجرى المدلى في منطقتى وهو الخجر العربى المقوس الذى كان يحمله أبى من قبلى ثم ادفنه في قلب ذاك الملك وارسله الى ايزيس ليقدم حسابه اليها وبعد ما ادفنه في صدر باغوس ثم في صدري اذا تطلب الامر . ولعمري آثرت هذا العمل الخبير على أن اكون سجنية في أعين هؤلاء البرابرة .

لم افهم بكلمة ومع ذلك يظهر أنه خرجت من روح انذرت الرحلين بعاقبة عملها وعلى كل حال رأيت باغوس خربل ركبته بسجدة أمام أوخوس وترسل اليه فائدة

— اضرع اليك أي ملك ان تعني عنديك من هذا العمل . ان هذه السيدة المقعدة هي كاهنة الملكة ايزيس ملكة الارض والسماء فسها محرم وعمل دنس يجلب الهلاك في العالم والعذاب لا بدى في الآخرة ضحك اوخوس من قوله هذا بوحشية ثم تحول الى القائد الاغريقى وسأله قائلا

— ما قولك في دوريان لاتين في احد من آلهة المصريين . هل هناك ما يمنعنا من تجييد هذه الكاهنة انرى ما تخفيه ثيابها . ففرك بانه رجلا بهيول :

— لما اقميت على هذا المثل أى ملك الملوك ذكرتنى بأمر واقع . لقد أخذت دنس ملك صيدا هذه الكاهنة هي ابنته من نحت . قلت وقد أراد ان يجردها من ثيابها فكانت نهايته مروعة كما تعلم . وعلى ذلك اذ سألتنى رأيت اني افعل ان تدع هذه الكاهنة مقنعة لانها ليست على ما اعتقد الا مجوزا شيطا . لا اعرف شيئا كثيرا عن ايزيس ومع ذلك أعرف أنها معبودة ذات اسم عظيم فمن الحكمة ان لا نستمر

لغضبها . لكي نكشف عن وجه امرأة ذميمة الخلقه

نطق منتور بهذه الاقوال المملوءة مكرًا وخداها فاخذ اوخوس

يمضي اليه وقد هدأت حالته فجأة ثم قال

- اذكر ان هذه الكاهنة قدمت الي خدمة جليلة هناك في صيدا

فقادت نينس الكلب نارائها الى الهلاك وعلى ذلك سأتركها وشأنها

لا اكراما لآلهة مصر التي احتقرها ثم بصق على التمثال - ولا صملا

بارائكم الى خيبة بل لاجل خدمتهم - الى في صيدا . ثم آسر أبعسا ن

لا يحرق هذا الهيكل الجميل ولا يمسح أحد بسوءه وان يبتلى الذين يعيشون

فيه ولهم ان يقوموا بعبادتهم الجنونية كما يريدون على شرط ان لا يتجاوروا

اسواره ولا يختلطوا بالناس في الشوارع . وتهدد بقولها - ذا مدد

صولجاني

ثم ما بدت اني تحبها . صولجاني . صولجاني . صولجاني . صولجاني . صولجاني

ذلك مددت ذراعي من بين طيات الثوب لمسب مصر فجاءه في ذلك

ذكرت أنه كان من الحكمة ان أم ملك مصر لما من تحت يد عيني

لا حظ اوخوس في لمح البصر جعل الازراع التي ملأتها فصحا في

وصاح قائلا

- ليست هذه الثمرات وحق السار المقدسة ذراع عجور شمسها كقوتهم

أيها العبيد بن هي ذراع امر دجيلة بشفاعة السرب راميري لوقعت

عياي على هذه الملاحة من تبس الثابت بنوع شداها . حفا .

فقاطعته برود قاتلة

- لقد است صولجان الملك فيني بالاييجوز انرجوع عن امره الكريم

فقال اوخوس

— اراها حكيمة كذلك لانها تعرف عادات ملوك الفرس صدقت.
 ثم است الصولجان فما صدرت به ارادتي لا يمكن تغييره. انظروا أيها
 الحملاء كيف يمكن الانسان ان يتخذ من حكمته درعامنية. تعال يامنطور
 بعد الى القصر لنقضي ليلتنا في ابتهاج مع كاهنات آمون الجيلات أما
 ن يا باغوس فابق هنا وابحث عما اذا كان لدي ايزيس هذه حلوى تؤخذ.
 في الملتقى أيها الكاهنة . استخدمي حكمتك وثابري على لبس قناعك
 لانه اذا كان جسمك جيلًا مثل ذراعك فقد تلعب الخمر برأسي أو برأس
 غيري فانسى عهودي في النهاية واصدر أمري بنزع قناعك

تحول الملك وسار يتبعه رجال حاشيته الاشرار ولم يبق غير باغوس
 تنفيذ الامر اوخوس فلما اغلقت الابواب وعلمت من صياح الناس في
 الخارج ان الفرس ابتعدوا عن الهيكل تحولت الى باغوس وكنامنقردين
 وحاطبته قائلة

— اخبرني ايها المصري يامن تربيت تحت جناحي ايزيس ، أأنت
 خائفة؟

ثم اومأت برأسي الى بصقة اوخوس على تمثال المعبودة فلجاني قائلاً
 — نعم اني خائف مثلك منذ ههنا
 فقلت ساخرة

— ياللك من أحمق . لم أكن خائفة . ولعمري لومددت يدك لاصابك
 الالاك في الحان ولاصاب ملكك كذلك . ولا تساءلى كيف . ولا رسلت
 روحك الى الربانية في العالم السفلى . ألم تسمع أيها الخصى عن لعنة
 يريس ؟ هل تزعم ان قوتك وسلطتك تحميالك من سيفها القاطع ؟
 لان . هم ان كان لو ساءلها ان تسدرك اسدرك حيث انت

اضطرب باغوس وخر على ركبته . نعم جثا قاتل الملوك هذا علي
ركبته امامي انا الكاهنة المقنعة داخل هيكل معبودتي واخذ يصرخ
الى ويتوسل ان اعفو عنه واحميه من غضب السماء . ولا عجب فقد كان
باغوس مصرياً بالروح لا يزال دم اجداده المصريين الذين عبدوا اليزبس
اكثر من التي عام ، يجري في عروقه حاراً
اجبته على نوسلاته قائلا

— انطلب ان اعفر عنك واحميك ! اظن ان طلبك هذا يجب ان
يشترى بشمن غال يا باغوس هل اكلت لحم ابيس وسقت عذارى آمون
من هيكلهن ؟ هل اشركت مع الذين وضعوا حماراً في معبد بتاح بدل
المجل المقدس ؟ وهل كنت مع الذين ذبحوا الكهنة على مذبح الهياكل ؟
فضرب صدره بيده وقال

— نعم واأسفاه . ولكن لم أعمل ذلك طوع ارادتي بل اقترفت
ما اقترفت مهتداً بالموت

— قد يكون ذلك ، عليك أن تعقد الصلح مع الآلهة التي انتهكتم
حرمتها ولكن ماذا تقدم من التكفير الى هذه المعبودة ؟

ثم اشرت مرة أخرى الى بصقة اوغوس الطيبة ، فاجابني قائلا
— هذا ما أريد معرفته منك فاي تكفير تريدني ياسيدي ؟ سأقسم
بان ليست هنا مجوهرات وان المعبودة تزين فقط بالازهار والطيب
وسأحرس هذا الهيكل فلا تطأه بعد الآن قدم فارسي . وسأقتل كل
من يفضك أو يمسك بأذى . هل هذا كفاية ؟

— كلا . ولا جزء من مئة . نعم تريد أن تحمي هيكل المعبودة .
ولكن اذا تقدم من الرجل الذي دنس ثمنه لها ببصقته ؟ تريد أن تحمي

الكاهنة ولكن بماذا تفتقم ممن أراد أن يجردها من ثيابها ويتخذها
تسلياً له ولرجالها الاشرار ؟ اذا كان هذا كل ما تستطيع أن تقدمه
يا باغوس فاحمل لعنة الام ولعنة خادمتها واذهب الى الجحيم

رفع باغوس اذ ذاك يده الى رأسه كأنما أراد أن يقي بها اللعنة
ثم أخذ يمتسج ولكنى لم اكنثر بقوله واستطردت في حديثى قائلة
— لاتعجل . وتلك ما شئت فى الطريق . تزين بالثياب الموشاة

بالحرير كالنساء وادهن جسمك بالطيب وضع السلاسل الذهبية فى عنقك
والجواهر الثينة فى اصابك . انظر الى المملكات التى لا تستطيع التمسك
بها وخذ نصيبك من الذهب والولايات . دس السم لمن تبغضهم واتزع
ارواح الامم الابرياء الذين يقفون حجر عثرة بينك وبين ما تريد .

غذ جسمك الغليظ بما تشتهي من الطعام واطعم فيما شئت من الجاه
والسلطة ثم مت يا باغوس بعدها ، مت بعد عام أو عشرة أعوام أو
خمين عاماً واذهب الى أسفل سافلين وانظر الى المعبودة التى انتهكت
حرمتها واتى عبدها اجدادك من البداية ، ثم انتظر قدوم كاهنتها
لكى تقدم حسابك الاسود فى قاعة المحاكمة

— ما العمل اذن ؟ ماذا أعمل لكي انقذ روحي من الهلاك ؟ اعلمنى
ياسيدتى انى أريد انقاذ ررحى وأن الاشياء التى ذكرتها الآن ليست
الا أموراً تافهة فى عيني بعد أن حرمت من النساء والاولاد . ثم اعلمنى
اننى أفخر كل الفخر اذا وصلت قدمى اعناق كل هؤلاء العظماء نعم
حق عنق ملك الملوك الذى لسي أنه تقدمه ملوك كانوا اعظم منه شأنًا
وساكنًا ، فاخبريني — ماذا يجب أن افعل ؟

اخرجت خنجرى المفوس من غمده خفية ، وخفية جرحت ذراعى

دون أن يلاحظ الخصى شيئاً . نعم وكان الجرح عميقاً اذ لا يزال أثره
ظاهراً الى اليوم فسال الدم وخضب قناعي . وكانت لطفة صغيرة في
البداية ولكنها أخذت زداد شيئاً فشيئاً الى أن نظر الرجل اليها
مبهوثاً وقال :

— دم ! دم من ؟

— ربما دم المعبودة الجريحة ، أو ربما دم الكاهنة المهانة ، ماذا
يعنيك يا باغوس ؟

استطرد الرجل في حديثه قائلاً :

— دم . ماذا يطلب الدم ؟

— ربما يصرخ الى السماء طالباً الانتقام ، ربما يطلب أن يغسل بدم
آخر يا باغوس . من انا حتى افسر مثل هذه الاتغاز .

ادرك الخصى معي قوتي فوقف يتعثر على قدميه ثم مال نحوي
وأخذ يهمس في اذني قائلاً :

— لقد فهمت . تقى بأنه سيتم لك ما تريدن ولكن لم يحن الوقت

بعد . ومع ذلك أقسم بأنه سيتم متى حانت الساعة الملائمة . انني أمقته

أقول انني أمقت ذلك الرجل الذي يسبغ نعمه علي في حين يسخر مني

في قلبه ويهزأ بي بأسانه ، والذي كلما أصاب نصراً على يدي سخر وقال

لجنوده انهم قالوا هذا النصر على يد مخلوق ليس برجل ولا بامرأة .

نعم أمقت هذا الرجل الذي أرغمني وهو يعلم انني مصري ، على تدنيس

الهياكل وقتل كهنتها . انني أقسم أن يتم ذلك في حينه .

— لماذا تقسم يا باغوس ؟

— قسم بهذا أيتها الكاهنة .

ثم رفع القناع ومسح شفثيه وحبينه بلطخة الدم وعاد فقال
 - اقسم بدم ايزيس او بدم كاهنتها وخادمتها التي يجري دمها في
 هروقها ان لا اعرف معنى للراحة حتى اذيق اوخوس كأس الموت
 فقد تنقضى اعوام ولكن لن يهدا لي بال حتى اسقيه كأس الردي
 ولكن بئمن .

فسألته قائلة

بأي عن ؟

- الغفران الذي في وسعك أن تعطيه

- نعم في وسعي ان اعطيه أو امسكه . ومع ذلك لا اعطيك هذا
 المنحة يا باغوس حتى أرى باخوس ميتاً بيدك فعندئذ فقط - لا قبل
 ذلك - اسأل لك الغفران من السماء
 - في وسعك على الاقل أن تحميني الى أن تحين تلك الساعة أي
 كاهنة ملكة السماء

أُخذت طاساً معباً من قنادي التي البسها تحت قناعي وهو رمز
 سرى للقوة يمثل ايزيس ولا يبرنه الا الكهنة فنفتخت فيه وداركته
 ثم قلت

- خذ هذا واحمله على صدرك فانه يحملك من كل شر ما دام قلبك
 صادقاً نقياً . أما اذا تحول قلبك عن غرضه أو اذا فشل في تنفيذه غايته
 فان هذا الرمز المقدس سيجلب علي رأسك جميع الشرور في هذا
 العالم وما وراءه يا باغوس . اخذه واذهب ولا تدا لي نايبة حتى تأتي
 وتخبئني ان أوخوس سار في الطريق التي دفع اليها أقدام كثيرين
 أخذ باغوس هذا المسم فوضعه على جبينه كانه خاتم ملك الملوك ثم

اخناه بين طيات ثيابه وسجد أمامي ومس بجزءه الأرض تحت قدمي
وأنا جالسه على كرسي المعبودة ثم قام وحنى رأسه دون أن يثوره بكلمة
وأخذ يتهقرا، أن اجتاز الابواب واخفى عن عيني

لما ذهب الخفي ضحككت ، انا عائدة ابتهاجا بالور العظيم الذي
لحيته . كنت فيه هذا الفوز الباهر
نعم ضحككت ثم ظهرت تماثيل المعبود وحزنت ألسنها الخجور
ودهننتها بالعطر ثم جنبوت وقامت فروض الشكر والحمد الى تلك القوة
العادلة في السماء

الفصل الخامس عشر

الديسية

مرت السنون المملوءة بالملل فعاد أوخوس الى بلاده وخلف أحد
رحاله ساماكو ، والياً على البلاد

فصبت أما طائفة كل هذه المدة الطويلة وحيدة منفردة في هيكل
يزيس بمف فلم أغادر حدرانه يوماً ما عملاً بأمر أوخوس وقد بقي
معبد يزيس سليماً بالرغم مما أصاب هياكل المعبودات الأخرى . وعلى
ذلك بقيت مع أنكمه والسكاهنات انتظر كلة سيدي فوت التي لم تأت
بعد . فمؤ بطقوسا الدينية

فصبت هذه السنين المملة الطويلة في مناجاة الارواح والاحلام
وتعلم لغة المصريين القديمة وغيرهم من الأمم الأخرى فازدادت حكمة
وعصاً مثل اء مموء فاعطر أو الطيب . ومع ذلك ما فائدة هذه المعرفة
دائمة ؟ لا شيء على ما يصبر . ولكن ليس الامر كذلك لان قلبي
كان يتمني م كما تتمدى الرحلة مما تدخره من الشهد في فصل الشتاء
ولولاه لم تتم الرحلة . وفوق ذلك علمت الآن ان هذه السنين
التي فصبتم لم تكن الا تمهيداً للاحيال الطويلة التي كتب علي أن اقصيها
بها « من كف حور

على هذه الحال مكثت السنين الطوال مناسبة من العالم افكر
وأنحس . روبر «وحشة أنا التي فكرت في ان ابسط سلطاني على العالم
كأنت شهراً بعد آخر بين جدران هذا الهيكل ، متذرعة بالصبر

والثقة ان الساعة المعينة لا بد أن تحين في النهاية

لم اجمع شيئاً عن نخت - نبت غير انه سافر للقيام بمهمته ، ولم يسمع شيئاً عن ابنته أمونارنس التي سافرت معه على ما اعتقد وكذا لم اجمع شيئاً عن كالكرانس الجندي الكاهن الذي ربما مات وتلاشى جماله معه كما سندهب ملاحتي يوماً ما ، وهي فكرة اقشعر لها بدني

كم حرت في أمر هذا الرجل وعجت لماذا تتحرك له روجي دون سواء من البشر ؟ لا أدري . هذا اذا لم تكن يد القدر قضت بأن اللقاء في عالم آخر غير هذا العالم . ولمرئى كنت واثقة من البداية انه عهد الي ان ارفع روح هذا الرجل الى مستوى روجي

نعم فكرت في تلك الايام الموحشة التي قضيتها بـ كالكرانس ، الرجل الوحيد الذي مست شفته شفقي . وفكرت أيضاً و لاسي ملء فؤادي كيف يرفضني هذا الرجل أو على الاقل يمرض علي أما الى تحنوا الرجال نخت فـ هي بالعشرات ، انا أجيل نساء العالم وأعظمهن حكمة وارجحهن عقلاً . ويميل الى امرأة أخرى لا انكر انها جميلة بل وءة قدامة ولكنها لا تباريني ملاحه كالتقمير بجباب الشمس

ولأن وقد انطمأت جذوة تلك الحمة ولم يبق منها غير رمادها فقد صحت من تقسى كلما ذكرتها . غير اني أقول الحق ارضحكي هذا كان مشرواً بالحزن لانني لما دعيت الى مادة الحب - وهي أعظم شيء في عين المرأة - فربت من كأس الخذلان والعار من يد ذلك اله في القمامي واعنى به « القدر »

أ . هـ . لقد انتهجت نفسي لخلاص من كالكرانس الذي يحسن العرب سيف في ميسان لوغي . انا تلكه الدم صلي بتفزع وورع

مثل أقدس كاهن . وعلى كيه حال شعرت ، أن نى بانى سيده نفسى فى
وسعى أن اكيض روتى على ، ال الالهة لى لى ضرب جناحي
قضبنا الدفع وحاولت الالهة فى متع طلمية ركن ، أسفاه نت
يد الزهر قصان «لذا المنقص قربة نلم استطع التغاب عليها

احيراً علمت ، أن أوخوس مل المقام فى بلاد الفرس أو انه خشي
البقاء هناك فموا مرة أخرى على أن يشرب من ماء النيل
وعلى ذلك جاء هذا الملك : يظهر الالهة والعظمة الشرقية ونزل
فى قصر منف على رمى القوس مرتين من الهيكل . وقد أقام للسكان
الحفلات له على كدهم كما وكان ، أو زوريس عاد الى الأرض ، وبدأت
هذه المظاهر فى جميع أنحاء المدينة عدا الهيكل وحده فلم تحرق له فيه
نار ولا علقت مصابيح لاني لم أشأ أنا عائشة ان انى ركبتي البعل أو
أقدم ذبيحة للموخ . وقد خشي بعض الكهنة عملي هذا وقالوا من
يحمينا من غضب الملك العظيم فاحبتهم قائلة
— سنجمينا ، المعبودة وأذا لم تشأ حميتكم أنا

زارى الثوب فى الليلة التالية لوصول أوخوس فأمرت بدخوله
منفرداً ، وعلى ذلك بقيت حاشيته فى الخارج ودخل على بثيا ، الحريرية
ولآله الغالية وقد استقبلته حيث استقبلته فى المرة الاولى فجلست
مقنعة على كرسى الرأسة أمام تمثال المعبودة المصنوع من المرمر عند
مدخل المقصورة الخارجية المشرف على القاعة الكبرى ورحبت به قائلة
— مرحباً يا باغوس . كيف حالك ؟ هل وفاك رمز القوة الذي
أعطيتك لك من كل أدي وشر ؟
خفى الخصى رأسه وقال

— نعم وقاني بإسديتي وقد رفعتني إلى أعلي مكانة في الوجود بعد
أوخوس ، فصرت امنح حياة وانفسى بالموت وارفع من أشاء واحفض
من أشاء وصار الوزراء والقواد يسجدون تحت قدمي وأخذ الناس
ينثرون الذهب حولي ولعمري في وسمي أن أشيد منزلي من الذهب
ولم تعد نقدي تنوق إلى شيء في عالم

— اللهم إني أشاء معلومة لا تستطيع الحصول عليها بفضل ماظهره
ملك ملوك أو من تنده امر المسيرة بالملأظة فيهما انك . فليس لديك
أطفال سذ يربون هذا المجد وهذه الثروة الطائلة مع أنك تعيش وسط
كثير من اللاتي يمكن أن يعرفن أمهات

همم باغوس فولي فاكفر وجهه وزاد شراسة وصار مثل وجه
شيطان ثم قال بصوت مبجوح

— لعمرى ، تمرغى كيف تسكين حمضاً كاريًا على جرح مفتوح
سكى يظهر هذا الجرح يا باغوس

استطرد في كلامه دون أن يعير قولي الاخير اهتماما فقال
— ومع ذلك صدقت ، فان كل هذا المجد وكل هذه الثروة والقوة
ابسدها بمرح لو أتيج لي أن أعود كما كان آباءى من قبل ، صاحب
قطعة من أرض مصر الجميلة بين طيبة وفيلى . فقد عاشوا هناك جيلا بعد
جيل مع نسايم وأطفالهم ، ولكن أين نسايم وأطفالي ؟ يوجد في تلك الأكمة
الغريبة تابوت ، وفي الغرفة التي فوق هذا التابوت تمثال المدفون فيه ،
وكان يعيش منذ ألف وأربعمائة عام في عهد الملك اخمس الذي اتزم مصر
من يد الرعاة وهو قائد من قواد ذاك الملك فلما انتصر على الرعاة أعطاه
الملك تلك البقعة مكانة له على خدماته

امسك باغوس اذ ذاك من الكلام هنيئة كما لو كانت هناك ذكرى
آلمته ثم استأنف حديثه فقال

— كانت عادة أولاد هذا القبائل ومن جاء من بعدهم من سلاسلهم
أن يقدموا في يوم معين قرباناً لذلك التمثال الذي تقطن فيه روحه
« كما » وأن يضموا تاجاً من الذهب على رأسه وسلسلة ذهبية حول
عنقه ويقدموا له الطعام والازهار . وكان هذا واجب مقدس تقوم به
ذرية هذا الجندي الذي ساعد على تحرير مصر من أعدائها البرابرة .
وقد قت بهذا الواجب عندما وصل أوغوس الى منف في المرة السابقة
ولكن اعلى أيتها السيدة اني آخر سلاله هذا القبائل . وقد أخذني
المرض لاني كنت صبيّاً جميلاً وجعلوا مني شجرة جافة لا تنمو وعلى
ذلك لن يقوم أحد بعدي بهذا الواجب المقدس نحو جدي ولا بفرأ
أحد قصة أعماله التي نقشها قبل موته على لوحة داخل قبره
ضحكت من قوله هذا وقلت

— قصة عادية ، قصة عادية اليوم في مصر التي هي الآن في أيدي
الفرس كما كانت في أيدي ملوك الرعاة من قبل . لقد كان جدك هذا
جندياً هزم الرعاة أو ساعد على كسرهم ثم عاش لكي ينقش أعماله
الجيدة على الحجر لتكون مثلاً يقتدى به من يأتون من بعده . لقد
انتهت قصته ، ليس كذلك ؟ لعمري لا أدري كيف ان باغوس ، عبد
الفرس ، باغوس صاحب الجاه والسلطان ، يضيع وقته في ذكر قصة
جندي منسى قاتل في زمنه دفاعاً عن حرية بلاده . ما قيمة الازهار
الخميرة التي قدمت أكثر من ألف عام الى روح ذلك المقاتل ، بجانب
الآثار الغالية والذهب النضار وغيرها من التحف التي تسكب تحت

قدمي باغوس رئيس الخصيان وكبير وزراء ملك الملوك أوخوس الذي
لو علم أين يدفن أجدادك العظماء لجرهم في أكفانهم بلا مراة وأرغلك
يا باغوس على أن تحرق جثثهم لكي يتلذذ بنيرانها ؟ لعمري من المناظر
اللذيذة التي تروق في عيني الملك أن يرغم باغوس العظيم على أن يحرق
أجداده وأن يطبخ بعظامهم طعامه كما ارغم كهنة المعبود بتاح على أنه
يسلقوا لحم العجل ايبس لطعامه

سمع باغوس العظيم قولي وادرك معناه لاني لاحظت انه كان يجفل
من كل كلمة ألقياها كما يجفل الانسان عند ما يشعر بالسوط يهوى على
جسمه . أخيراً قال بصوت مبجوح

— كفى . كفى . لا أطيق سماع شيء بعد ذلك . لماذا تتركين عيني
بارمال أينها الكاهنة

— لكي أزيل الفشاوة التي عليها فترى جيداً يا باغوس . ولكن
لندع قصة ذاك الجندي الكريم الذي لن يقدم أحدا الى روحه زهرة
ولا قرباناً واخبرني هن عجائب تلك الضيعة العظيمة التي جرى فيها
دم جدك والتي لا تلبث أن تبتلعها رمال الموت . ولكن عليك قبل
كل شيء أن تحتتم تابوته بعد أن تضع بداخله لوحة من المرمر أو الذهب
تنقش عليها كيف ان الالهة منحت صاحب التابوت مجداً عظيماً بأن
جعلت من سلالة باغوس رئيس خصيان أوخوس ملك الملوك الذي
حرق هياكل الالهة التي كان يعبدها أجداده

فتأوه باغوس وقال

— كفى . كفى لقد حانت الساعه

— أية ساعة يا باغوس ؟

— مساعدة الانتقام الذي أقسمت به لايونيس .

— هل يذكر المصري عابد نيران الشمس عبوده لاله قنحوب لايونيس
فصبح صرعا لك يا غرس .

— اصفي اني ايتها الزكاهة . قضيت المنين للطويلة اني صبا في
البحث عن حرسه وفريتها لاني سئمت بدى ، فجزارت . مرة
وت تشكوا مني جسدك الممدد ناني لم يمد هناك أحدا من سلالته
لكي يقدم اليه قربانا .

— اذن تكلم يا باغوس .

— اعلمي يا سيدتي ان حرس حانق عليك لاني لم اتمكن من
وتمتعني عيني هيكلا برا ، عرا ، بخوابهم الهياكل والابنية الاخرى
في مدينتي ، ولم يشترك اهمة ايزاس ودهاسها في نشر الازهار تحت قدميه
وقد بلغ منه الغضب ، لمعا عظيما حتى اراد أن يهدم هذا الهيكل حجرا
بعد حجر ويقتل من فيه لولا عييه التي يخشي أن يذبحها .

وسألته بدون اكرات قائم :

— حقا ما تقول ؟

— نعم يا سيدتي ولكنك نجوت بفضل هذا الفهم الذي وضعته
دنيا فمب عيديه وحذرت من مصير الدين يتهكون حرمة ملكة السماء .
وقد فعلت ذلك صباح اليوم فقط وهو واقف بحديق للنظر الى جدران
الهيكل المجردة من الزينة ويتمم بكلمات الوعيد والانتقام .

— وماذا قال يا باغوس ؟

— ضحك وقال انه لا يريد انتهاك حرمة المعبودة ولكنه سيكرمها
بذبحه . وعلي ذلك استقر رأيه بعد ثلاث ليال من هذه الليلة أي في

التي يدير فيها القمر بدرأ ، على أن يقيم مأدبة عظيمة في الفناء
محل من هذا الهيكل . وسيجلس ملك الملوك مع نسائه في هذه
المأدبة وفي الخصة قبة من ترايت الموتى والملوك والملكات وستجمل
هذه المأدبة بآلات ثيل المعبودات وستوضع أسماها أربان تفرس المقادسة
أما أوديس وبارا الملوك في برتسي ثباب . ورويس وعنه انتماء الحفلة
تألق المعبودة انيس نفسها من وراء قنطرة هذا القدي تجلس أمامه وهي
تؤنسها بالمشي وعنه على رأسها راية الزادسة ثم تسير مقبلة
سقدمها الشظائف أو أميرات الفرس . راجع زين أنت تلك
المعبودة يا سيدتي .

فسأله قائلة :

.. وبعد ذلك ؟

.. بعد ذلك تصعد من المنصة حيث يرفع ازوريس السيف أو بالحري
أوحوس عن وجهك القناع ريصمك الى صدره ثم يمسك بك كزوجته
أمام الجميع . وسيقوم بذلك مخزية منك لأنه يعتقد أنك عجز
شطاء تسيرين مقنعة لتخفي شيخوختك لأن هذه هي الاشاعة
الدائمة بين الفرس .

لما سمعت أنا عائشة هذه الكلمات المروعة وادركت في قلبي مبلغ
الاهانة التي عول هذا الملك المجنون على الاقدام عليها وما يصيبني من
جراء ذلك . ارتجفت أعصابي وكنت أسقط عن مقعدى الى الارض .
على اننى استجمعت قواي وقلت :

.. هل هذا كل ما لديك يا باغوس ؟

.. كلا يا سيدتي فمأ كون بحكم وظيفتي ساقى الملك وسأعطي الكاس

المجوهرة المملوءة بالخرق المقدسة الى اوزوريس - اوخوس ملك السماء والارض، في حين يرتل كهنة اوزوريس وكاهنات ايزيس الاغاني المقدسة القديمة عن قيام اوزوريس واقترانه بايزيس الزوجة المقدسة. وسيشرب اوخوس من تلك الكاس جرعة الزواج ثم يسكب قطراتها الاخيرة تحت قدميك . أو لسبب ما ربما القاهها في وجهك ، كلا . لقد نسيت . ستقدم أميرات القوس أولاً فيجدونك من وشاحك لكي ينظر اوزوريس الى عروسه التي طال غيابها عنه . واذا ذاك تتعالى أصوات السخريّة من الجميع استهزاء بجسمها الذي اكل عليه الدهر وشرب .

- واذا تبين أن زهرة شبابها لم تذبل بعد وانها فاقت حد الملاحظة والجمال ، فما العمل في هذه الحالة يا باغوس ؟

- اذن يصمها الملك الى نساءه على ما اعتقد أيتها القديسة على زعم أنه يرضى المصريين بعمله هذا ، أو اه يا سيدتي ، انك حكيمّة بشهادة الجميع ومع ذلك كشفت عن ذراعك مرة عند مامدتها فيما مضى لكي تسمى صولجان ملك الملوك . ولعمري كم تحدث اوخوس عن جمال تينك اليد والذراع وناقته نفسه الى رؤية الوجه الذي فوقهما والجسم الذي هما جزء منه ، وربما كان هذا هو السر في اعداد هذه الحفلة يا سيدتي .

- واذا رفضت أن ألب هذا الدور فما هي النتيجة يا باغوس ؟
- ان أمر الملك قانون نافذ ، فاذا فعلت ذلك قضى الامر وأمر اوخوس بهدم الهيكل حجراً بعد حجر ونهبه وحرقه كغيره من الهياكل الاخرى ثم يكره الكهنة على عبادة النيران وتساق الكاهنات ويتحملن ذل الامر أو يجدن مكاناً في خيام الجند أو بيوت القوس

فقمتم ثم ملت فوفه وقلت :

— اعلم يا باغوس ان لعنة ايزيس تحلق فوق رأسك فارني مخرجاً
من هذه الورطة والا كان نصيبك الموت — لا اليوم ولا غداً بل في
الحال ولا تسألني كيف لأنك لم تنس ما أصاب أهل صيدا على يدي .
جبن الخصى أمامي ثم أحابني قائلاً :

— كنت في انتظار هذا السؤال يا سيدتي ولولا ذلك ما تجرأت على
دخول هذا الهيكل منفرداً . ألم أخبرك الآن اني سأكون بحكمكم
وغيرتي ساقى للملك : الآن اصني الي
ثم خفض من سوطه واستطرد قائلاً :

— سيضع طبيب الملك السم في خمر الزواج اعلمي أن هذا الرجل
في قبضة يدي ، والحراس والقواد في خدمتي ، وكبار الورراء ورجال
الدولة موالون لي . ان الساعة التي انتظرتها أعواماً طويلة قد جاءت في
النهاية . لست الوحيدة يا سيدتي التي تريدن الانتقام من اوحوس .

— هذه كلمات حلوة للدينه ولكن من أين لي أن أعلم انهم — استنفذه
أتدري ماذا يسمونك في مصر يا باغوس ؟ أنهم يدعونك كاذب الملك .
— اني أقسم بحق ايزيس ، واذا خذلتك قتلهم روجي الرابسة
في العالم السفلي .

— وأقسم أنا كاهنة ايزيس أن أسفك دمك اذا حذلتني . واذا مت
فسيحي ألوف للأخذ بثأري ولا بد أن يصل سهم أحدهم الى صدره
في النهاية أو فلتتول المعودة بنفسها للقضاء عليك

— لا أجهل ذلك وسيكون نصيبي الفوز والنجاح بلا مرأى . وسيسمى
النوم ملك الملوك بمد تجرع السكاس ، نعم وسيعود اوزوريس الى قبره .

وبه، نوماً عميقاً ولكنه لن ينام بين ذراعي أريس .
ساد السكوت بعد ذلك هنيهة ، نننا الى أن أمرته في النهاية بالانصراف

حانت ليلة المأدبة وعد كل شيء . ولم أكن واثقة بالخصي بانغرش
وعى ذلك وصعدت حفاقي وكانت حطة باهره مريضة ، فصمت على أن
قده جميع المدعوين - ملك الملوك ولسائه وقواده ورجال حاشيته
وورثه - دبيحة واحدة الى آلهة مصر التي انتهك هؤلاء البرابرة
حرمتها وان اقدم نفسي ومن ممي ذبيحة كذلك اذا اقتضى الامر لكي
يرشدكم لي طريق الدلائل ولدمار .

وكان تحت تلك السحابة اتى سينها الملك ابخوس ثمامة المسأوبة ،
قموا واسمع أو بالحري خزن كبير لادغار الزبوت والوقود الى وقت
الحاجة . واتفق ان كان هذا القبر مملوءا في ذلك الوقت بالزبوت والوقود
الى السقف لاننى لم اكن أدري في تلك الايام متى يحاصرون الهيكل .
وكان به فوق ذلك أوراق مكدسة من أوراق البردى وعقاقير من التى
يستخدمها المصريون في تخنيط موتاهم وترايبات اعداء الاحياء لوضع
حذيقهم اذا ما قرفوا الحياة ثم كية عظيمة من الغاب واللش . فكان
اشمال النار والحالة هذه لا يحتاج الا الى فتحة طيقان صغيرة لتوصيل
الهواء ثم الى شخص يوق به يعهد اليه باشمال النار في الزيت والشمس
ثم لم يلبث بعد ذلك . واتفق ان كان لدى من استطيع أن أعهد اليه
بهذه المهمة وهى كاهنة عجوز قضت اكثر من سبعين عاما وكانت
امرأة شجاعة مقدامة لا تهاب الموت .

دعيت في تلك الليلة عينها الكهنة والكاهنات الى المقصورة

فاطلعتهم على كل شيء وأخبرتهم كيف استقر رأيي على أن أقضي بهم
هؤلاء البرابرة وأرسلهم من هذا العالم إلى أنياب المقيم الأبدي
مع الكهنة قولوا خنوا رؤسهم اذمانا للامر ثم سأني أحدهم وهو
كاهن طاعن في السن قائلا :

- هل كتب علينا أن نأكل الديران مع اوثانك الخمازير ؟ اذا كان
الامر كذلك فانا لا نعصى للمعبودة اسرا
فاجبته قائلا :

- كلا . سيكون الممر السري الذي يجري من مؤخرة هيكل
اوزوريس مفتوحا فاذا ما رأيتم النيران تشتعل اهربوا من هذا الممر
وسألتحق بكم اذا استطعت . أما اذا لم التحقق بكم فاعلموا أن المعبودة
دعنى اليها . وستجدون عند نهاية الممر او بالخروج عند شاطئ البحر
الزوارق معدة لكم . وستجدون فيها رجالا ممن يؤمنون بمعبودتكم
وستسير هذه الزوارق بكم تحت جناح الظلام وخلف ستار الضجة الى
مستقوم اذ ذاك الى المعبد الأمري الذي يسمى « ايزيس بين انعب »
حيث وجدت ايزيس - كما يقولون في قصص الاولين - قلب اوزوريس
الذي اخماه « تيفون » . وهو المعبد القائم في الجزيرة التي لا يجرأ على
زيارتها أحد ولا الفرس انفسهم لانها تحت حراسة ارواح انوثى أو نخت
حراسة ألسة من النيران مرسله من العالم السفلي . فهربوا الى هناك
واخفوا لي أن تأتيكم كلمة ايزيس

حتى الكهنة رؤسهم مرة أخرى ثم قال الكاهن المعجوز
- سيكون عملنا هذا عظيما ، يتردد صدده في جميع اروقة الاسماء
وستكال الآله رؤوسنا بالمجد والنفخار ومع ذلك هذا يطلب الى المعبودة

أن تعطينا علامة قبل أن تقدم على عملنا هذا

— نعم هيا نطلب الى المعبودة علامة

جئنا الجميع أمام تمثال المعبودة ووضع كل منا يده في يد الآخر
ثم أخذنا نرتل الاغاني المقدسة وتترجح ونصلي ونتوسل طالبين الى المعبودة
أن تعطينا علامة لكي يتمجد اسمها على الارض

لم يسمع أحد نداءنا على ما يظهر ولم نر علامة فجئنا الجميع في صف
مزدوج وتقدمت أنا للكهنة الأولى حتى اقتربت من تمثال المعبودة
الابيض وهو قائم فوقنا في نور المفصورة الضئيل ثم تناولت «الجلجلة»
المقدسة فوضعتها على شفתי المعبودة ثم هزتها فتعالى رنينها وبعد ذلك
جثوت وقبلت قدمي المعبودة

فت على أثر ذلك والقيمت كلمات القوة الرهبة في اذنها ثم عدت الى
الكهنة الجائين واشرت اليهم ان يرفعوا آذانهم للسمع ووضعت ذراعي
فوق صدري ووقفت مطوقة بخشوع وهيبه

لم تمض مدة وجيزة حتى ممعنا خفيفا كرفرفة اجنحة الطير وهبت
رييحاردة على وجوهنا وممعنا صوتا يخاطبنا هو صوت نوت نفسه قائلا
— نعدوا . بهذا قضت الارادة . تغذوا ولا تخافوا

فمات

— ها قد ممعتم

فماتوا

— نعم ممعنا

— صوت من ممعتم ؟

— ممعنا صوت نوت ، رئيس الكهنة المقدس الذي غادرنا

— هل اكتفيتم؟

— نعم اكتفيننا

انصرفتم بعد ذلك مبتهجة بعد أن علمت من هذه اللامة أن نوت
لدى خاطبنا لا يزال حيا على الارض ، وان السماء اعلنت ارادتها على
السانه

الفصل السادس عشر

المأدبة

حانت ليلة المأدبة . وكان جمال الفرس قضوا النهار كله في دواء الهيكل يهيئونه للمأدبة فوضعوا المناضد على طول المسكان وإلى جانبها الكرامى والمتكآت . ثم أقاموا عند رأس الفداء منصة حملوا قوائمها من تماثيل مسميات مختلفة يرعبوها فوق توابيت الموتى من المأموس القدماء . وقد فرشت المنصة بالطنافس وكسيت الموائد بالقش الحريز القومزية المصنوعة في صور وشرت عليها الأكواب والأدوات الذهبية ثم نصب عرش من ذهب عليه تمثال يمثل طاووساً فرد جناحيه ووضع أمامه مصعدة من خشب الأبنوس لاسود المطعم بالعاج في حين صنعت على جانبه عروش أخرى صغيرة - وكان هذا المكان الأخير معداً للملك اللوك وجميع أسرته وأهله

أيديهم هادئة . وقد أعد الخدم والسقاة مكاناً في الدمام الخارجى لايقاد المار وحملوا أدوات الخمر . ولعمري لم يسمع أحد في تاريخ مصر كلها بمأدبة دخرة وغريبة في بابها مثل هذه المأدبة التي أعدت على هذه الحال في افنية هيكل ابزيس

لما دلت الشمس نحو الغرب جاء باغوس ومعه عدد من الخصى ورجل الحاشية فدخلوا الى القناء الداخلى وأمر باغوس بدعوة الكهنة فلما جاؤا بالقرم ما يجب عليهم اقيام به فقلنا نحن عبيد الملك الملوك وأننا لا امره طائعون

خرج باغوس بعد ذلك مع رجاله ولكنه تظاهر لما امر من أمامي
 انه هتر بشيء وهمس في اذني قائلا
 - لا تخافي أيتها السكامة . ان كل شيء سائر في مجراه الحسن وان
 النهاية ستكون طيبة
 فاجبته قائلة
 - لست خائفة أيتها المصبي وأعلم ان كل شيء سائر في مجراه الحسن
 وان النهاية ستكون طيبة .

* *

ارخت الطلبة سبلهم وجلسوا ليل فأنيرت على طول الفاعة مصابيح
 محمولة على قوائم من البرنز ورعت أحرى من الموائد ثم أخذوا المدعوون
 يتوافدون لممرور وكانوا يذهب راءة من بدياهم المعطرة . والتعود
 والتدبيط والمدح والثناء والاحتفاء والاحتفاء من محرم الزجور
 والاحتفاء والاحتفاء والاحتفاء والاحتفاء والاحتفاء والاحتفاء . وكان
 السقاء والخدم يحسون كل واحد في مكانه الخاص فحسوا صامتين ولا
 تسمع لهم الا همما

كست مع رفقة خائف "سائر" المدلاة على باب القصور الخارجية
 نواب ما يجري . وكان جميع الكهنة يتقدمون بدياهم للعبادة الرسمية المازنية
 بالهور . أما المأفدات ثيابا . راسها اخرقة طرما . راسها . تقيتها
 وارادت ان اراى قوةها ووضعها على أممي نوح المعمر . راسها . تقيتها
 عات ثم الله بان لذهي وفوقها . راسها . تقيتها وفوقها . راسها . تقيتها
 الرهوة لجيرة وحملت يدهم الحليمة ورمز الح

حرف رقب الطويل علاناً، قدوم ملك الملوك فرأيت سائر آفي القاعة
الضوالة يرتدي نوح اورريس وعلى رأسه التاج الطويل لمربى بالريش
وبمسك في يده عصا الملك وسوط الحكم.

وبالحدود وكذا صمغته يتقدمه إلى أن وصل إلى سلم المصصة
التي شددت فوق حث الموتى حيث أقسم مذبح صغير ثابت تتقد عليه
بيران الكارس المقدسة

وقد رحل حورية مجوراً وهو يلوح اسوطه الذي يلعب به ظهر
الملك في حرف الجميع على رحوهم سحداً ومحوه كعبودهم تقوا
حمدى كمنوني في القصور. وكان مشهودهم غريباً وهم رفود على هذه
الطال فوق رحوهم من الموتى

وكانت طائفة أراقهم من حلف قبائلي وروحي متمسكة بتلك
القوة التي تأتي في سمات الحبوب الخطيرة. وقد عجت لهذا المشهد
حتى كنت صحت نلر شه في ولا عجب فقد رأيت ممى ذلك الملك
فوق مدسة مع شير لم يد درس لديم بمحور اسكى شت في عقه
اطافره وهرر عن نحت قديمه فسمعت لى كل دمه هالعلطه المنيه من
الذنب لا من روح. فقد كان هذا الملك اواقف على حث الملوك
يقبح ربتهم على وشك الهلاك. وء كاس العرس المسمومة أو
بيران مزبى من نحه. نعم سيموت وسيخرج كاس الهلاك واذا ذلك
مما نعهده به اهر العجر والامنة الكاددة؟

مما نعهده به كاس دمه وماى لسان. اذا ما اقلبت هذه الكاس
ومنصبه الى الموت دمه. يدافع ياترى عن الف تمة وتهمة التصقت
رأسه على ثياب نره على ارتداء ثياب اوزوريس لكي

بهين . ريس : سيا ان اوزوريس هو اله الموت ون ايريس تذهب
دائما من يذهبك حرمة قوانينها ؟ لا عجب ادن اذا كنت انا عائشة قد
صعدت في قلبي واطايت عيناى للطر الى هذا الملك اللاحق

لوح اخوس - اوروريس بصولحانه فدت الروح ثانية في احسام
المدعوين الذين كانوا مسطحين على وجوههم كالموتى وتحركو ثم قاموا
وسر كل واحد منهم وحلس في المكان الممه له حسب درجته حول
مادة روريس هذا الذى طاد الى الارص

شمرت المادنة فاكوا كثيرا وشربوا كثيرا الى ان لعت الحمر
برؤوسهم ولم يعد في طاقتهم الوقوف على اقدامهم تقريبا . وبعد ذلك
حات الساعة الرسمية فقام اخوس ولوح بصولحان الملك قائلا

- فم اوروريس في مصر ثانية ! لتتقدم روحته ايزيس المقدسة
الكي اشترى من كؤس لرواح ويصدها الى صدره
وصاح الجميع : مين

- نعم هم الممبود اوروريس في مصر ثانية فاقوا با : كيه ريس
ولتتقدم الى اعابها الكي يشرب معها كؤس لرواح ويقبلها

دعاء الحرس الى المادنة فحرحما من المنصورة واجترنا الستائر
وسر : ثانيا ليضاء النسيطة نزل تربية لعودة الى أن وصلنا الى
القاعة الكبرى في صف مزدوج سرت في طليعته . وكانت تحفها مظاهر
الهيبة الخلال فلبس القوم وهم سكارى ان يسجروا ، ويهرؤوا بنا
ونعمري حتى يصعب رؤوسهم احلافا واحتراما

وصا : - لمبة التي قامت على توبيات الامراء والملوك وحدث
شي شاملا : ورت من رفا واددنا تقدم حذ الحراس فصعد بهي
لمبة في رقت وجهها لوجه مع وخرس ويصني بسحرية فائلا

— مرحباً بملك السماء . انظري . لقد قام اوزوريس ماد الى السبل
ثانية حيث وجدك في النهاية . اسفري عن وجهك أي ملكة السماء
لكي اتمع ناظري بمجده العظيم ولا تملك التمتالة التي لا تذلل لها هرة
تعاله أصوات البرابرة بالضحك ابتهاجا بهذه الالهة فانظرت
الى أن تلاشت أصواتهم المسكرة ثم أجبت قائلة

— لم تسمع أيها الملك المرتدي ثياب ملك أعظم منه قوة وسلطاناً
وهو ملك الموت ، ذو من انظار أعظم رفيع بالثياب عز وجه ايزيس
وانه لم يرفعه أحد وحاش ! انك تزعم اني انت الالهة أد ولكن اعلم
اني هنا في معبد ايزيس ، في مكانها المقدس الذي تجرأتم على تدنسه .
امثل المسدودة نفسها التي رتدي ثيابها المقدسة . وعلى ذلك اضرع اليك
أر تفكر في الامر ثانية قل أن تأمرني برفع نقابي

ساد السكوت هنيئة بين الجسم . واستولى الخوف على قلب ملك
هنيئة ولكن لم يلبث أن تنابت الحمر الغرور على خوفه هذا فصرح
خاضعاً قائلاً

— من ذا ؟ هل اسمع المملك الصالح تديتة وشعياً من ارض مجور
شماله تدسوا منها تشبهه وهبودة - لقد صغيت الى نصائحك من
قبل مرة أيتها العجوز رتوتك ملتفة في خرافك هذه القذرة والكي
آتي اليك الآن كاهلك وملكك في ان اطاب ما هو حقلي ، فانزع
هذا الازار : الا أمرت نسائي أن يجردنك من جميع ثيابك

ساد السكوت مرة أخرى فانتهزت هذه الفرصة وأخذت اقلب
الطراف فيما حولي الى أن وقعت عيناي على تمثال المعبودة المصنوع من
المرمر فرفعت عناي الى السماء وصليت الى المعبودة قائلة

- يا من ترأب من عرشها في القمر كل شىء يجرى على الارض ،
ويا ايها الروح العظيمة التى يدعوك الناس على الارض باسم ايزيس ،
يا من تمقذ من تشاء وتمتقم من تشاء ، يا من تعرف الموت والحياة وتمحك
على القلوب والارواح ، يا من لا تفرق بين الامير والحقير لان الجميع
ليسوا الا تراباً تحت قدميك الابديتين . اصنعي الى توسلاتي انا كاهنتك
الناطقبة باسمك . انك تسرفز المأزق الحرج الذي وقعت فيه مع هؤلاء
الكهنة والكاهنات خدامك فاحفظيني : احفظيهم اذا شئت أو فادعينا
اليك . لا اطلب اليك شيئاً ولا اطلب أن تحولى عجلة القدر عن مجراها
وانما اطلب اليك أن تنظري في أمرى وانا بحمك راضية . ان ميزان
القدر في يدك فن انا حتى اعلى هذه الكفة أو اخفض تلك ؟ فاحكي
أيتها الالم ايزيس اذن بيني وبين هذا الملك الذى يرتدى ثياب ملك
الموت ويسخر منك بسخرته منى انا خاضعتك على الارض
فقال أوخوس ساخراً

- كفى أيتها المرأة وامسكى لسانك عن مخاطبة معبودة بميدة
هناك وانزعى وشاحك . هات يا باغوس كأس الزواج حتى اشرب نخب
هذه الزوجة الجديدة التى تظن انها شبه مقدسة
أشار باغوس رئيس الخصيان الى رجل اسود اللحية أثمر الوجه
عرفت انه طبيب الملك فتقدم هذا يحمل كأساً من الذهب فذاق ما فيها
أو بالحري تظاهر بذلك ثم وضع السم في الكأس بخفة بحيث لم يلاحظ
هذا غيري وبعد ذلك رفع الكأس الى فوق ثلاثاً ثم خفضها ثلاثاً كذلك
- لكى يخلط السم بالحر بلا مراه - وتقدم الى الملك فجأ على ركبتيه
أمامه وقدم الكأس الذهبية الى سيده ملك الملوك وملك العالم

تناول أوخوس الكاس وقال

— الآن أخبرني أيتها الكاهنة هل تريدن أن تسفري عن وسمك
وتزعي أزارك مختارة أو هل تريدن أن استعدي القمصاء لئلا يلد ذلك ؟
فاجبته قائلة

— لا حاجة الى ذلك ومع هذا أريد أن ألقى على مسامحك كلمة
واحدة أيها الملك العظيم والناجح المهاب رهو ، ان الملك العظيم الذي تقرأ
على أن يرتدي ثياب أوزوريس قد يخطيء من وقت الى آخر وهكذا
اخطأت أيها الملك عند ما قات ان ايزيس بعيدة مني لا ايزيس هـ
وانا ايزيس

تقدمت كاهنات باشارة مني الى جانبي وحلنا أزارتي فمسحت من
الارض ووقفت أمام أوخوس وربطته في ثياب ايزيس الفخرية وارتدت
حيلة مثل ايزيس ، احمل في يدي رموز ايزيس وصولجتها التي تـ
به العالم .

رأى الجميع ما جرى فتعالت أصواته الدهشة والعجب من شبح
الحدث في القاعة وكذا رأى أوخوس ثم اضطربت عيونه وصرخ
وتنم قائلاً .

— وحق النار المقدسة : هذه مخلوقة ببارقة الزمان سر ، كانت
امراة أو معبودة

فاشرت اليه برمز الحياة وأسميته قائلة

— اذن اشرب يا أوخوس — أوزوريس كاس الزواج ثم خذهُ سواء
كانت امراة أو معبودة

شرب أوخوس الكاس وتجرع ما بها الى آخر قطرة . والظاهر

نسي أن يقدم السكاس الي فائقها فسقطت على المذبح الصغير الذي تنفذ
عليه النيران المقدسة فاطمأنتها ثم تدرجت وسقطت على الارض
نظرت اذ ذاك الى بائوس فرأيت على وجهه صورة مظلومة لم
أرها على وجه رجل من قبل . فكانت قاسية ولكنهما كانت نهم على
الظفر وكان ينظر اليه نظرة المغلوب البارد الذي صار غداً ونهمل
رأيت في نظره غده الجحيم مجيئاً

زجر المدعوون عند ما رأوا هذا الحادث وتشعروا من هباء
النيران . على ان اجزعه التي تناو لها أوخوس خفت من حسنة قلبلا
على ما يظهر فلم يكثرث بشيء . وفي الواقع زالت علامات الشرسة من
عينيه وندت فيهما دلائل الخداع والمكر كالتاجر ، وكالآخر حسب نظري
ملاحظتي قائلاً

— دعيني اذهب انظر قبلي أن تدمم اليك ولعمري شهر . سيج
لنوزي بك أعظم من كل ابتهاج شعرت به أثناء فتواتي . نعم بركت
الآن السر في المك ه أمحني الى بلمة المدم عن وجهك
أخذ أوخوس ينهوه بمثل هذه الكلمات وينظر الى ملائقي حين
ماؤها الجذوع والدم الى ان قام في النهاية ليكني بجثز المذبح . لمير
وينقدم الي

الفيت نظرة حادة عن الموقف كله في هذه اللحظة لهيبة ، فحضر
بالي ان باغ من خديتي وان اسم قابيل او ان الم شروع فابل على الاقل
وانني اد كنت أريد الافلات فليس علي الا ان اعتمد على نفسي ،
ومع ذلك وقفت قبل أن اقدم على عمل سيؤدى بحياة المئات لمحاظت
أوخوس قائلاً

- قف . لا تضع أصبعاً علي والا صيبت على رأسك لعنات ايزيس
فجاني قائلاً .

- كلا . انى سألتع ببركات ايزيس أيتها الحذاء يا من تمثلين الملاحه
النجمة .

تقدم أوخوس الى أن اجتاز المذبح الصغير ثم امسكني وطوقني
بذراعيه وضمني الى صدره في حين تعانق أصوات الجميع نالهجاء
والفرح .

أقيت « الجلجلة » التي كانت يبدى لازاعة الرحمة كانت قد انتهت
وكان الموت الذي انبعث منها صوت القضاء على هؤلاء الكلاب لانها
كانت الاشارة المنطق عايتها بيننا

انتقل الامر في الحال الى الحانة التي عهدت اليها باشعال النار
من تحت ولم تمض لحظة حتى شرعت تلك العجوز الشدهاء تنفذ مهمتها
بشملة اعدتها لهذا الغرض . ولعمري لم يهرع حبيب الى صدر حبيبته
مثل للمرعة التي كانت تجري بها هذه العجوز من كومة الى كومة تشعل
النيران بالزيت والنقش

الآن صرت في قبضة هذا الملك الوحشي تماماً فضغط بشهيقه
المتهمتين على مندرى وعذتي في حين وقفت ساكنة لا انازع ولا
اضل وبقيت جامدة مثل تمثال المعبودة

والظاهر ان برودي هذا اخافه فقال متردداً

- هل أنت امرأة من البشر

فأجبتته بجملة قذرة

- كلا . انا ايزيس ، والويل لمن يضع يده على ايزيس !

ارحى اوخوس ذراعيه ثم وقف يحدق النظر الي واذا ذلك سألني قائلاً
— ماذا أرى في عينيك ؟ ارى جميع شياطين مصر تنظر الي من
عينيك .

فأجبت قائلاً

— كلا . ان شياطين الجحيم هي التي تنظر اليك من عيني . لقد
أمرت ايزيس جميع شياطين الجحيم بإملاقها عليك أيها الملك المرتدى
ثوب ملك الملوك

— ماذا تقولين ؟ ما معنى قولك هذا ؟

— ستعرف معنى قولي هذا قريباً ، ولكن في الجحيم . وعلى ذلك
ودع العالم واستقبل الموت

جمعت عينا اوخوس وأخذ يترنح بمنة ويسرة ثم سقط فجأة كأنما
اخترق قلبه سهم مسموم . قد ألقى على ظهره يحدق المظر الي القمر
ثم صاح قائلاً

— ارى ايزيس في القمر . انها تهددني من القمر . أيها الرجال خافوا
ايزيس ساكنة للقمر . القمر . باغوس ، أيها الطبيب ، باغوس . احميني
من ايزيس . انها تنتزع قلبي بيديها . ايها الماحرة . ايها الساحرة
لا تنزهي قلبي بيديك

اخذ اوخوس يولول بصوت رهيب . وكانت هذه كلماته الاخيرة
لقد فاه بها لانه رفع رأسه واخذ يدور بعينيه الرائغتين فيما حوله ثم
سقط رأسه بشدة على الارض وصار جثة هامدة لا حراك بها

هرع باغوس والطبيب اليه وصاح الخصى قائلاً

— لقد نزلت لعنه ايزيس على ملك الملوك

وصاح الطبيب قائلاً

— لقد مات الملك الذي ركب مطية العالم بضربة ايزيس، الهة الماء - رين
رفع باغوس والطبيب جثة الملك تساعدهما نساء اوخوس - ا - دات
ثم نزلوا بها من المنصة وساروا في القاعة واخفوا في الظلام ولم يمتص
مدة وجيزة حتى هجعت وسط السكون العميق لدى خيم على مكان
ابواب الهيكل الخارجية تغلق خلفهم

بقيت السكنينة ضخمة بعد ذلك هنيئة لان الوعاء اسنزلوا حتى الجميع
نجمدوا في اماكنهم كالتمثيل الى أن صاح أحدهم في النهاية قائلاً
— لقد قتلت الساحرة ايزيس الملك بقبلتها فاقتلوها وارقو جثتها
ارباباً. اقلوها ومن معها

أخذ الرجال يتحركون فسمعت صليل السيوف في أعماقها - ثم
يهبون كالأمواج على سطح بحر هائى وأخذوا يتدفقون كالأمواج
كذلك نحو المنصة التي كنت اذ ذاك واقفة عليها منفردة فلت والتمطت
« الجالجلة » ثم مددتها نحوهم وصاحت قائلة

— حذار . اثبتوني مكانكم والا نزلت سايكم لعنة ايزيس كبدكم
ترددوا هنيئة ولكنهم طأوا فتدفقوا الى الامام ثانية وصرخوا قائلين
— أيتها الساحرة ، أيتها الساحرة

لوحث بذراعي في وجوههم ، وكأنا جاءت تلبية هذه الاشارة
اذ شاهدت في الحال مرداً من الدخان الكثيف يتصاعد من وراء المنصة
والسنة النيران تندلع بشدة . ثم لوحث بذراعي مرة أخرى فنهضت
الدخان من الساحة الاخرى من القاعة وتلته ألسنة النيران

حول الرجال وجوههم فشاهدوا الدخان اذ ذاك أدركوا ما هم عليه

وصرخوا قائلين

— لعنة ايزيس . لعنة ايزيس نزلت علينا لقد خربنا قبرن

من الجحيم

فأجبتهم قائلة

كلا . انما نزلت السيران من السماء وقد صبتها الالهة العاصبي .
ارتفع بنى وديهم الآن سياج من نار لم يحرق أعظم شجاع بهم عى
افتحامه . فودعوا فى أما كنهم جامدين . وقد رمان أحدهم بسيفه
ولكنه مر من فوق رأسي ثم هرعوا الى أبواب القاعة فوجدوا فى
وجوههم سياجا آخر من النيران . وقد فتحهم بعضهم هذا السياج
ولكنهم وجدوا الابواب موصدة فى وجوههم والحراس قد تملكهم
الدور ففروا وتركوا الابواب

ارتد هؤلاء لرجال تحرق أفعالهم وهم يحترقون . نعم شهدت . يرن
تشتعل بثيابهم الحربية وشعرهم الم . هون بالثوب الضيق فسكن كل
واحد منهم مثل شعلة متحركة . وقد دفعهم الدمار الذى تلك قلوبهم . و
أن يجتمعوا المناضد ويسموا بعضهم فوق بعض فى اوتنين تساق أمور
الامانة وقد كان فى وبع معهم كل الاقن أن ينجح بهذه الحيلة ولم
يجذب بعضهم بعضا ويسقط الجميع كومة واحدة وقد تكلمت أحدهم
وخدت منهم الانفس

تحولت اذ ذك وهرعت من فوق المنصة يحجبني ستار لدخان
فدخلت المقصورة الداخلية حيث وجدت جميع الكهنة والكاهنات
فى انتظارى عدا الكاهنة المجردة التى كانت لا تزال تشتغل بشعال المسد
فى مخزن الزيت والونود ولتى صعدت روحها بلا مساء الى السماء على

جَنَّةُ الْهَيْب

نزع السكينة ثيابي ولغوني في ثوب اسود . وبينما كانوا يقومون بهذه المهمة نظرت الى الخلف فرأيت السنة النيران قد اندلعت في كل مكان بالفاقة والنهم المنصة التي كان أوخوس واقفا فوقها هذا تماثيل الآلهة التي تحملها فقد ظلت يحدق النظر بأعينها الجامدة وهي قائمة وسط النيران والدخان بصورة رهيبة تمثل أروع مظاهر الانتقام و هلاك الابد

لم أطق رؤية شيء بعد ذلك . على أنني سمعت فوق فرقة النيران صراخ المدعوين الذين وقعوا في الفخ وكانوا قد أنوا ليروا ملكهم يسخر من ايزيس وكامنتها . وقد مكثوا على هذه الحال المروعة الى أن هوى سقف القاعة بهم الى أنوار النار المتقدة تحتهم — نعم هوى الذين يعبدون النار الى قلب معبودهم النار

وهكذا انتقمت ، أماناأشة ، بنت الحكمة ، وابنة يعرب حسب الجسد ، من الفرس وملكهم وكنت سيف النعمة الذي هوى به يد الآلهة على رؤوسهم . لقد انتقمت بالنار ، أنا التي كانت النار الأثر لذي يبين طريقي في الحياة وستظل كذلك الى الابد

الفصل السابع عشر

جزيرة ايزيس

وصلنا الى الممر السري حاملين معنا كنوز ايزيس وكتب الهيكل المقدسة التي لا تزال موضوعة الى اليوم في كهوف حور ثم مرنا في هذا الممر الى أن وصلنا سالمين الى هيكل اوزيريس الذي دمره الفرس ومنه الى شاطئ النهر حيث كانت الزوارق بانتظارنا فركبناها دون أن يرانا أحد وانسلت بنا شمالا . وكان الجميع مشتغلين بالدار التي شئت في هيكل ايزيس وبالشاعة التي ذاعت بأن المعبودة نزلت كشعة من نور . وأهلكت أخوس الجبار مع قواده ووزرائه ورجال طاشيته . وبهذه ودعت المدينة منذ ذات الاسرار انه مضى . لا نزع شايها من ذلك . ماذا حدث بعد ذلك ؟ لا أدري غير ان قلبي منكر ما حدث من الاشاعة التي ذاعت وحملها اليه فيلار فيما بعد ان باغوس وبعثه اليه جثة أوخوس الي الكلاب وبذات آوى فاكتموا أنه لو لا ثياب اوزيريس التي كان يرتديها لما عرف أحد بقيا ملك الملوك الذي ذاب المهادد وفقر البلاد . ويقولون أيضا أن باغوس أسس أدميس ابن أوخوس على عرش الفرس ثم قتله بعد ذلك بالسم كما قتل جميع أولاده عدا واحدا . والظاهر أنه نادى بعد ذلك بدار الملكا على بلاد الفرس . وفي ذلك الملك دارا فيما بعد أن باغوس يريد قتله كمن تقدمه من الملوك فذبح عن نفسه بمهاججه خصمه وأكرهه على أن يتجرع السم المسمره التي أعطها لكثيرين

كانت هذه على ما يظهر نهاية باغوس الذي استخدمته كما يستخدم
الصامع اذاته وجعلت منه سيفاً طعنت به قلب بلاد الفرس كما طعنت
بتينس مدينة صيدا . وقد سلك هذا الخصى الطريق عينها التي أكره
ضحاياها للعديدين على سلوكها وتجرع الكأس نفسها التي أرغمهم على تجرعها

وصل ركنا قبل الفجر الى المعبد السرى المعروف بمعبد ايزيس
بين اللغاب حيث أهد الكهنة هناك كل شيء لاستقبالنا . وكان للتعجب
قد أخذ منى مأخذا عظيماً فرقدت في غرفة صغيرة ونمت مطمئنة وثقة
بأنه لا يتسنى ولا للذين معي أفل أذى . ولما أدرى من أين جاءنى هذه
العتيدة ولكن هذا ما علمته ، وعدت فوق ذلك أن علاقتى بمصر قد
انتهت وانى طلقتهما منذ الآن

نمت طول ذلك اليوم والخطر الأكبر من الليلة التالية تدلانى نغبات
الغاب للطويل المحيط بنا التى تنبعث منها عند ما تلعب بها الرياح . وقد
رأيت في تلك الليلة حلماً عربياً فقدم رأيتى واقعة وسط صحراء شاسعة
بحرى الليل عند طرفها . وكنت مفردة في تلك الصحراء لا رفيق لى
غير شمس التى كانت تغرب في الغرب والقمر الذى أخذ يرتفع من ناحية
الشرق في حين شاهدت تمثال أبى الهول رابضاً بينهما بصدرة ورأسه
الذين يمثلان صدر امرأة ورأسها . وقد علمت أن هذا التمثال يمثل
مصر وهو رابض على هذه الحال . أبدياً لا يتغير ، جيلاً ، رصينا
يحقق المنزى بعينيه نحو الشرق حيث تشرق الشمس صباحاً بعد صباح
سواء جميع آلهة مصر أمام أبى الهول وعلى رأس كل منها رموز
الخدمة المندسة . وكانت هذه الآلهة مجموعة تخيلية غريبة منها ما هو

على شكل حيوان براس انسان ومنها ما هو على شكل انسان براس
حيوان ومنها ما هو على شكل عقاب أو تمساح أو بوم أو نور أو
تيس أو قرم منتفخ البطن

اصطقت هذه الآلهة أمام تمثال مصر الجليل ففتح أبو الهول فمه
وتكلم قائلا

— ماذا تريدن مني أيتها الآلهة بعد أن آويتك أجيالا طويلة ؟
فنتقدم معبود على شكل انسان بين منكميه رأس بمنقار وعلى رأسه
تاج على شكل هلال ، يحمل في يده لوح كانت وهذا المعبود هو الذي
يسميه المصريون ثوث أو المحصي
تقدم هذا المعبود وقال

— ريد أن نودعك أيتها الام مصر ، يامن آويتنا جيل بعد جيل ؛
لقد خلقنا من طينتك والي طينتك نعود
فأجابه أبو الهول قائلا

— حذا ؟ اذن انتهت أيامك القعيرة . ولكن اخبرني أيتها الآلهة
من الذي أعطاك هذه الصور الغريبة ومن الذي دعاك بالالهة
فأجاب المعبود قائلا

— الكهنة هم الذين أعطونا هذه الصورة وهم الذين ددونا آلهة .
الآن وقد قتل الكهنة فسندناشي معهم لاننا اسنا الا آلهة مصنوعة
من طينتك أي مصر

— اذن عودى الى الطين أيتها الالهة المصنوعة من الطين . ولكن
اخبريهم ولا أبين روي التي أرسلتها في بداية العالم لتكون روي
مقدسة تحكم مصر واتعلم ؟

فأجاب ثوث المحصى قائلاً

— لا ندري . سلى الكهنة الذين صوروا فرميا أخفوها في مكان ما
الى الملتقى أي مصر ، وداعا اي ابا الهول . وداعا ، وداعا
فردد الجمع الغريب صدى هذا القول ثلاثة ثلا
— وداعا . وداعا

ثم انصرف ونلاشى عن الانظار

ساد السكون بعد ذلك واقهر المسكان . وكان أبو الهول يمدق
النظر الى « لاشيء » ويمدق « لاشيء » ينظر الى شيء لم يزل يردد
أما المرافقة لـ « اب » اخيراً تمام سبوح من لاشيء . وكرر هذا السبوح
ذا جلال وهو على شكل امرأة وقفت امام ابي الهول وخاضعة قائلة
— انظر الى . اي روحك المأقودة ولكنك أي مصر لم تخلقيني
لاني خلقتك بأمره مقدس أنا التي يعرفني الناس هنا على الذليل باسم
ابليس والتي يعرفني العالم باسم « اب » وكرر انعام باسم الطبيعة ،
وهي الثوب الظاهر للاله المبرر الذي انقضى عهد . وكرر هذا السبوح
ومع ذلك فلا تزال ولا تزالين باقية . ومع أننا سنذكر في الايام التالية
التي لا نهاية لها باسماء عديدة فسنبقى الى أن تكف الأرض عن دورانها
وتتحول الى الجسم الذي تولدت منه

قام أبو الهول بعد ذلك من قاعدته الحجرية التي جلس عليها من
البداية ثم تفهقر بجسمه الضخم ثم خر على ركبته أمام سبوح المرأة التي
هي ابليس ، التي هي الطبيعة ثم سجد ثلاثاً وتوارى عن عيني
لم يبق غيري امام الروح فتحركت نحري ونظرت الى فاذا رأيته
وأيتها قد تشككت عما يشككي . وكانت تبدووا عليها علامات الزمن

والكتابة ولكنها لم تقه بكلمة فناديتها قائلة

— اماء . اماء . كليتي يا اماء

لم تقه بكلمة وانما أشارت الى السماء ثم اختفت فجأة فوقفت أنا ماثلة
سائرة وسط الصحراء انظر الى الشمس التي كادت تحتجب وراء الافق
والى القمر وقد طلع من ناحية المشرق ، والى كوكب المساء بينهما ثم بكيت
وبكيت وبكيت لا تقراى ووحدتى ، اذ ما ذا تجد الروح البشرية
من عشرة الشمس والقمر وكوكب المساء اذا كانت الروح التي صورت
هذه كلها قد ذهبت ، وتركت كلا منها تنظر الى الاخرى دون أن يسمع
طبا صوت ؟

كانت هذه رؤياى التي طالما ادات فيها الفكر طاما بعد عام اسائل
الشمس والقمر وكوكب المساء عن سرها لمدي دور . أن افز بطائل
ان الروح هي التي تستطيع وحدها أن تفسر الغاها وهذا الروح
لا تزال صامته لا تحدثني بسبب الذنوب التي اقترعتها ولا في مشرأله
المصريين جبلت من الطين الذي يخفي بين جدران الكشيفة معصباح روي
المظلم ومع ذلك فسيأتي يوم يظفي فيه « نبل » المات الذي اقتت في
طريقه المودود ويجرفه كل حائل من الذين قبتجلى اذ ذلك زوال الصباح
ثانية ثم تأتي الروح وتعد بالثابت المندس وتنفخ فيه من أنفاسها وفي
هذه الانفاس سأدرك تأويل رؤياي واعرف رموزها

ولعمري بدأ الزمن يكشف عن حباياه لان هو الذي اخبرني ان لالهة
التي كان يعبدها المصريون ذهبت رائدته منذ اتي سم تربية وقد

تلكأت زمناً في بلاد الرومان وروما ونقشت تماثيلها على توابيت الموتى
الى أن اشرق كوكب دين حديد فاندثرت في صوته المقدس جميع
المعبودات القديمة وتلاشت ولم يبق غير أنى الهول وهو يمدق النظر
الى السيل ويناجي في سكون الليل المعودة ابريس لانها هي الطبيعة
والمعودة الوحيدة التي لا تقنى ولو تعددت أشكالها

١١ ثم قتلت أما عائنة معبودات المصريين القديمة بكرة النيران التي
اللقنتها على رأس الفرس وملكهم . ولكن كلالست أما التي فعلت ذلك
ولا أما التي جررت الهلاك على رأس صيدا وقتلت ملكها تينس ، ولا
أما التي قتلت أوخوس بل هي بدلت التي استجدهمتني سريفاً في يدها
تسلطه على من تشاء

استيقظت فرأيت ضامة الليل لا تزال محببة عدا نور القمر الذي
أخذ يستعجب اذ ذاك وره افئق ، وصمعت هواء الليل وهو يحرك
الغيب وتر مع دبلته الراسية لانه لا يتكلم بها في الكوك
المنلا في منتهى الروح في اتواء ، في حقة رهرة تحت
الحجر ، في منتهى ربة معبودات حلاقة هي دم اروح التي تقطن هذه
الاحياء فانهم في هذه الدم تحركت الروح الى اذ لا تسمو . ولما كانت
لا تعرف رجاء ولا خوفاً وقد صعدت في هرة اللطافة العمياء

دميت الى حفيف العشب وهي تسمر أمرار الارض الى أمرار
قاسم هرسيت تسررى أيعما على أحمدة كذاها حلوة

تقول لخلق نبي كنه ، مسطرة الفكر قنقة الببال لا ادري ماذا
هي . منذ كنت لا استطيع المتابعة اويلا في هذا المكان لان العرس

سبحنوني غنى عاجلاً أو آجلاً ويقتلني بأغرس لاخفاء حريمته ملقياً على
رأسى نومة الجريمة التي ارتكبتها

على ان هذا لم يخففني أما الآن ملكت العالم وما فيه من الولايات
والاوهال ونهيات نفسي لاجتياز عتبة الموت على أمل أن أجد وراءها
حياة أحرى غالية من الاكدار والاحزان . ولكن كان معي رفيق
السكينة الذين اقممت ان احبهم فأولوني ثقتهم كما لو كنت المعبودة
نفسها . وداءت هكذا حريماً بلا مرء

اذن يجب أن احبهم اذا استطعت ، ولكن كيف ؛ ليست لدي
سعة استطيع الفرار بها من مصر واذا فرض وكانت لدي ظلي أين
المفرأواه . ليت نوت معي في مدني بمشورته . نه حرم لانه خاطبني
بسوته في العمدة ، من أين لي أن أعرف أين اذهب ؟ ربما خاطبني
من وراء الحجاب لارتيه ومع ذلك لانه حرم من يخطي
مرة أخرى

هديت في قاي تالة

— نوبيل أيتها الغائب ، بالسفك العبدية وصل شرقاً وغرباً وشتم لا
وحراً آرد تمال عاسة حكمة فوت فتجبر من ورطتها
تحدث ضي على هذا الحل مثل طالة حائرة تري الله في سحابة
وتفعل ان الارواح تنفخ لادخال المرء الى ملبها وان المحرم نعل
عالم احببها . وثنا عجب فتدس من الامران ولتغيب مثل طالة
صغيرة .

كن دس اناهم مرء . يلبون دس بطة الذين
يشون اناهم في سبتهم رء . لهم من اناهم ويسكون

ذلك عن الحكماء والمتكبرين . وعلى كل حال أثناني الجواب وأنه في
حالي هذه من السذاجة فقد رأيت عند طلوع الفجر كاهنة تها
مريري قد حنت الرأس لي وخاطبتني قائلة

ع استيقظي أي ايزيس على الأرض فإن في الخارج رجلاً ...
مخاطبتك وقد جاء إلى هنا في زورق ولما سأله الحراس خاطبهم بجميع
الاشارات وفاه بالكلمات السرية التي لا يعرفها الا قليلون . ثم سأله
الكهنة عن مهمته فأجابهم بأنه لا ييوح بها الا لمن تحمل رمز الحياة
وتحجب رأسها بقماع كما تحجب الجبال قمها بالناج الأبيض ، الكاهنة
المعروفة في جميع الهياكل بينت الحكمة التي تسبح بين الناس باسم
هائشة ابنة يعرب

خامرنى الشك من نمو هذا الرجل فامرت الكاهنة أذ تعيد
الكلمات السرية التي فاه بها كلمة إلى أن فاهت في النهاية بلفظة
عمرى معناها ولستني عرفتها وعرفت من الذي فاه بها
افهم فاجب ربياء فدمت ، وانتهى بي شرا ...
الكاهنة مائة

... فوجدت في الرجل راكني دعي أولاً ثلاثة من الكهنة يعرفون
حواله شاهرين سيه فهم

ذهبت الكاهنة ثم حادت وقاتل الرجل ينتظرنى في الزورق
الخارجية يحيط به الحراس كما أدركت فدمرت الى تلك الزورقة ، وانا
ضيقه تشبه غرفة كبيرة ، ثم دخلت من بابها المؤدى الى المعبد في لداخل
فرايت أدمه للشمس المشرقة تدخل من بابها الآخر وقد سقطت على
الرجل الواحد في و ، ماما وهو يتفانى بحراسة الكهنة الثلاثة

لم ستطم رؤية وجهه ولكنه رأيت قد ارتجف وخر على ركبتيه
ثم رفع يده على رأسه وحياني بسرعة مدهشه . وكانت حركته هذه
كافية فعرفت من هو وأيقنت انه فيلو دون سواه

ثم التفت اليه قائلاً : « يا فيلو ، انا انصرف وأمرت الكاهنة التي
رافقتني بالانزواء في الغل ثم تقدمت الى فيلو وغاطبته قائلة

— قم يا فيلو يا من بحثت عنك طويلاً حتى كدت اعتقد انك انتقلت
الى عالم آخر . قم خبرني من أين جئت ولماذا أتيت ؟

فجأبتني بالتهاج قائلاً

— أحبيك أيها السيدة المبهجة ، انا عبدك بالجسد وشقيقك في
المعبودة . اسمحي لي ان اقبل يدك لكي اعلم انك لا تزالين امرأة
لا شبحاً

مددت اليه يدي فمسها بشفتيه باجلال واحترام ثم قلت
— لأن هات ما عندك أيها الصديق فيلو فأخبرني من أين أتيت
وباية قوة سحرية وصلت الى هنا

— جئت يا سيدتي من بلاد حثيقة الى الجنوب سنتقنين على شيء
من زرعها فيما بعد . لقد مكثت ثلاثة شهور أفاضل وأكافح في بحار
شاقة تدعني رياح مختلفة لكي أصل الى مصب النيل وابحث عنك
— ومن الذي أرسلك الي أيها الصديق فيلو ؟

— رسل سيده معروف يعرفه كلاداً

وسأته بصوت خافت قائلة

— هل يدعى هذا الرجل نوت ؟ واذا كان الامر كذلك فهل ابحت
الى حد فوق بحار أرضية أو في البحار التي يسبح فيها « رع » في

العالم السفلى ؟

فهمت بهذه الكلمات لانه خطر بيالي ان الرجل الجئى ينامى ايسر
الا شجعاً أرسل لىكى يدعونى الى قاعته أوزوراس . على انه ...
كائلا .

— لقد ابجرت فوق بحار أرضية أما بحار العالم السفلى فلا تزال
تنتظر سفينتى . هذا هو برهانى .

ثم اخرج من بين طيات ثيابه ملفاً وضعه على جبينه احتراماً ثم
قاوله لي ففقت أختامه وقرأت ما به على نور الشمس المشرقة وادابه
ما يلى :

من نوت ابن نوت رئيس الكهنة وحارس الممرار ، الى عذبة ابنة
ايزيس وبنت الحكمة : يقول نوت

« لا اعرف النوم فى منزلي الابدى . وقد ارتنى روحى كل ما
يجرى على نهر النيل فعلمت انك أطعت أوامرى التى اعطيتك اياها قبل
فراقنا ، وعلمت انك انتظرت بصبر واثمان وتحمات كثيراً من المذاق
واللتجارب . وسيصل اليك كتابى هذا فى ساعة عصيبة تمدين فيها
للحكمة النامية من الذيران تاركة خلفك ردد أعدائك . تعالى الى الآتى
سريماً . وسيكون فيلو الاح محبوب : رمز الحياة مرشدك فيريك
فيلو الطريق . وبقيدك رمز الحياة من جميع الاخطار . اطيعى اى لسان
ايزيس وهاتى معك من بقى من خدام المعبودة . اقربى خاتم نوت ولا
تفلسكأى »

قرأت الكتاب ثم اخذته وسألت فيلو قائلة

— على أية أجنحة نأير الى نوت وهو فى تلك البلاد البعيدة لا فيلور ؟

— على أجنحة السفينة « هاني » التي تعرفونها والتي نجو — هي
ظهرها من أخطار عديدة يا سيدتي . انها راسية هناك بين الغاب متاهة
للسفر .

— كيف عرفت هذا الغاب ومن أين عمت اني محتبئة هـ ؟
— رمم نوت الطريق لي وقال لي اني ساجد كاهنة ايرس في
المكان الذي عثرت فيه ايرس على قلب اوروريس . لا تسألني المريد
سمعت قول فيلو فلهج قلبي بالشكر اذ ايتنت ذصلاقي التي ارسلها
على أجنحة الغاب اجيب

فضيما هذا اليوم في شحرف السفينة بكوز ايزيس ورموزها
المقدسة لان كميات كثيرة من الذهب والالوان النفيسة كانت اخفيت
هنا بين الغاب أثناء الاضطرابات والقتال المدمية عدا كثير من نبل
المعبودة المعنوعة من الذهب والماح ونمرور

جاءت كل هذه النعم والنفاس في روارق صغيرة الى السفينة
« هاني » وحزنت في محبهم تحت مصانع كثيرة اشترها فغير من
موالي الليل . وكان قد ساء متكرراً في زي تاجر ومعه شحنة من الملح
والاخشاب الدارة فباع تجارته هذه في المواني حيث أخذ يجمع لاءاء
عما يجري في نحاء مصر ثم شحن سفينته ببضاعة أخرى وسار في الليل
دون أن يرتاب في أمره أحد الى أن وصل الى جزيرة الغاب اسرية
التي أمره نوت أن يبحث عنى فيها في هذا الشهر عندما يحير القمر
بدراً . ولم يجد فيلو مشقة في الاهتداء الى الجزيرة لانه كان قد سمع اليها
مرة بمهمة تتعلق بالمعبودة

جمعت الكهنة والكاهنة تلك الليلة . وكان عددهم ثلاثاً وثلاثين .

ثم خاطبتهم قائلة

— لم يعد في وسعنا المقام هنا في مصر فقد سقطت الالهة وهجرت معابدها وصار نصيب عبدتها الموت بالنسيب أرنا . وقد دعانا نوت رئيس الكهنة من مكان بعيد وأمرنا أن نحمل عبادة المعبودة الى البلاد جديدة لا أعرف أين هي . وهذا فيلو رسوله وها هي . سالتها فقرأها . ادا شئتم . أما أنا فاني سأطيع الامر والبحر الليلة الى نحر مجهولة راجية أن تكون المعبودة لي مرشدة . وقد أمركم نوت مرافقتي ومع ذلك ادعاكم الحرية فلستم أن تبقوا هنا اذا شئتم وعيشوا متمكرين كغلاحين وكتمة أو تعالوا معي اذا أردتم ولاكنني لا أعدكم اشيء ، فليتكم كل منكم حسب ما تمليه عليه روحه

تشاور الكهنة فيما بينهم وبعد ذلك صرح الجميع الواحد تلو الآخر بانهم يريدون مرافقتي مفضلين الموت معي وللذهاب اتياء الى ذراعي المعبودة ؛ على ان يعيشوا عيشة نذل والشقاء الى أن يهلكوا بحالة مملوءة بالنعاسة . وهكذا اقسم كاهن بعد آخر وكاهنة بعد أخرى قسما رهيبا وقبلوا رمز الحياة المقدس وبعد ذلك قما باخر حفلة للمعبودة ايزيس في أرض النيل ورتلنا بدموع سخينة ترنيمة الوداع

ولما فرغنا من ذلك ركبنا الزوارق فسارت بنا الى السفينة «هاهي» فمخرب بنا علي ضوء القمر وسارت في مياه النيل العميقة تسيرها قوة الريح الى ان دخلنا القناه التي تصل بين البحرين والتي حفرها الفراعنة من قبل . وقد اجتزنا هذه القناه بمشقة لضيقها في بعض الاماكن ونخاض مياهها في أما كن أخرى ووصلنا بسلام الى البحر الاحمر وودعنا مصر ومن فيها

قطعا رحلتنا هذه دون أن يتعرض لنا أحد ولما اجتازنا البحيرات
وصدنا الى مدينة صغيرة عند مدخل الغناء ابتعنا منها خبزا وسمكا ولحما
وقبر ذلك من المؤن التي سنجتاح اليها في رحلتنا وحدنا هذه المدينة
ملائي بالاشاعات على موت اوخوس وسمعنا روايات متعددة عن نهايته
وكانت القصة التي صادفت هوى في نفوسهم قولهم ان الممبود «ست»
اشترك مع الفرس في حملتهم ثم حمل اوخوس الى الجحيم على قرني
للحمل ايبس الذي ذبحه واكل لحمه وانتك حرمة مغمده. وقد ابتمت
عند ما سمعت هذه القصة ولو أنها لا تخلو من شيء من الحقيقة لانه اذا
كان هناك جحيم فلا ريب في ان روح اوخوس ذهبت بها لتلقى
جزاءها العادل



قدمت الكتاب فلا اذكر تفاصيل رحلتنا الطويلة ويكفي أن
أقول أنها تسكنت بالنجاح فكانت الرياح تدفع السفينة الى الامام يوما
بعد يوم ولم تهب علينا عواصف ولا ارتطمت سفينتنا بصخور وكنا
كلما عرجنا الى البر نطلب الماء وجدنا الارض خالية أو بها سكان موالون
وهكذا أخذت الايام تنقضي على هذه الحلة والسفينة تندفع بنا
جنوباً شهرا بعد شهر ، ولم تكن الرحلة خالية من دواعي التسلية فقد
كنت في ذاك المنبر نفسه الذي نزلت به أثناء رحلتى الى صيدا وهودقي
منها فذكرت جميع الحوادث التي مرت بي على ظهر السفينة وفي هذه
للغرفة فيها فتمثل لي تينس عند ما نزع الورقة منه وهو حاث أمامي
يكاد الحب يذهب بمقله ثم ذكرت المعركة التي دارت على ظهر السفينة
عند ما صد الفرس الى ظهرها وصدده كالكراس عنها ثم مرضه بعد

ذلك وزياراني له وهو جريح ثم وضع الخاتم المقدس في أصبعه لا تشاله
من بين مخالب الموت

نعم ذكرت هذا كله وذكرت ان أذني سمعنا كالكراس وهو ينفوه
في هزيانه باسم امرأة أخرى ويشكرها ففتح بذلك عيني الى جهالة قاي
لقد صادقتني جميع هذه الحوادث منذ أعوام فلما ذهبت الان
وماءت صرت أذكرها بشيء من الحزن يشبه رقة نسيم المساء بعد شمس
الظهور المحرقة وحرها اللافتح . ومع ذلك لا أنكر ان هذه الذكريات
كانت تجدد قوتها من وقت الى آخر خصوصاً في داخل زوايا القلب
العميقة

مضي على ذلك كله وقت طويل . اذ لم تصر لحية فيلوي بيضاء . ويتجمع
جلد وجهه بعد ان كان اذ ذلك أسود اللحية نضر الوجه ؟ ثم ألم أبلغ
الان متوسط العمر بعد ان كنت شابة في مستقبل العمر مع أنني لا ارال
أجل امرأة في العالم ؟ ثم ألم تثقل روحي بعبء المعرفة وتخترقها الاحزان
بألف سهم ؟ لقد مات كالكراس الان بلا ريب فذهبت الاحلام التي
ولدها في قاي هذا الرجل دون غيره من الرجال الى حيث تذهب
الاحلام فتتلاشى في الفضاء المجهول ، أو ربما يوجد ثانية بعد التغيير
الذي يسمونه الموت

ثم أنا ، أنى أسير في طريقي الى الامام تدفعني يد القدر ولكن
الى اية نهاية ؟ لا أدري ولا يهمني كثيراً . ان ادري أن مهمتي قد انتهت
الان على ما يظهر فتركت الحياة ومؤثراتها خلفي وصار من اللازم أن
تندسج خيوط حياتي الباقية من مائة حقيرة في بلاد مجهولة حيث أصلي
تحت هماء غريبة الى أن يأتي الموت فيطويني تحت جناحيه ويحملني الى

أصحاقي ماسكه الراجع

حسن ليكن ذلك فقد مللت الحياة كما قلت وسئمت متاعهم وآلامها
ومناضلاتها المستمرة لبلوغ مالا يستطيع رجل ولا امرأة ان يساغه الا
في الاحلام

تكلمت كثيراً مع فيلو ولكن حديثا كان يتناول دغماً لمضى
كالاخطار التي استهدفتنا لها مما أو عن حياته الاولى المملوءة بالمجازفات
والاخطار أو عن حياتي . وكان فيلو هذا رفيقاً ايساه متوقفاً للدهن ،
على شيء من المعرفة كذلك كما كان شجاعاً جاب كثيراً من اقطار العالم .
لم نخض في حديث ما يتعلق بالحاضر أو ما أصاب فيلو منذ أبحر
مع نوت ولا سألته عن المستقبل ولا الى أين نحن ذاهبون لانني كلما
هممت بسؤاله عن احدي هذه المسائل كان يبدى اشارة يفهم منها انه
مرتبط بقسم رهيب لم يسعني الا احترامه

وعلى ذلك لم أسأل فيلو المازيد فأخذت السفينة تسير نادوذاً ان كثرث
بشيء مثل طفلة لا يهجمها المستقبل ولا ما خبائنه لها يد القدر فيه

الفصل الثامن عشر

قصة فيلو

كان القمر بدرا فكمسي بنوره الفضى مياه البحر بحلة بديعة متلايئة
و مند نوره الى الشاطئ فاضاء على أشجار النخيل المنزرعة على الشاطئ
جلست على ظهر السفينة على مقربة من غرفة فيلو . وكان فيلو واقفا
الى حانبي يراقب الشاطئ فسالته قائلة

— علام تبحث يا فيلو ؟ أنتحشى وجود صخور تحت سطح الماء ؟
— كلا يا ابنة ايزيس ومع ذلك البحث في الواقع عن صخرة معينة
لا بد ان نكون على مقربة منها الان اذ لم اكن مخطئا في حسابي
هذه الكلمة ثم صاح وهرع الى الامام فجأة وأصدر أوامره ،
فوثب الرجال الى جبال السفينة وحول المجذفون مقدم السفينة بحيث
انجبت الان نحو الشاطئ وأخذوا يسرون بنا الى الشاطئ
ماد فيلو الي ثم قال

— أنظري يا سيدتي . في وسعك ان تنظري الآن جيذا بعد ارتفاع

للقمر

ثم أشار الى رأس بارز من الصخر أمامنا
تنبعت يده الممدودة فرأيت صخرة عظيمة مرتفعة فوق قمتها رأس
منحوت ، أو ربما لم يكن منحوتا بل صورته الطبيعية على هذه الصورة
وهو يزيد في حجمه كثيرا على رأس أبي الهول في مصر . وعلى كل الحال
سبقت هذا الرأس بصورته الخفيفة المربعة وهو يشبه شكله رأس زنجبي

ينظر نحر البحر بعينيه الجامدين

سألت فيلو قائلة

— ما هذا ؟

— هذا يا سيدتي حارس مدخل الاراضى التى سنذهب اليها ويرى
فى القصص ان هذا الرأس صنع على شكل أول ملك حكم هذه البلاد
منذ أولف من السنين قبل ان تشيد الاهرامات . ويقولون ان عظم
هذا الملك مدفون فيه أو على الأقل تسكنه روحه ولهذا السبب لا يجز
أحد على ان لمس هذه الصخرة الغريبة أو يتسلقها

غادرنى فيلو بعد ذلك ليتولى الاهتمام بشئون السفينة لان المدح
المؤدى الى المكان ضيق وخطر . أما انا فبقيت جالسة فى مكانى أطهى
النظ الى هذا المشهد الغريب الجا

أخذ احوال مجازى بحار . واهتمام فورى . اقبل ساعة الى مصر
نور . وكان اأى العنصر الروحى ان يمتدافرايت اذ ذاك شيئاً كرى
بقصة فيلو عن الملك العتيق فقد شاهدت . هذا اذا لم اكن فى حبه
من الاحلام . شبها طويلا على قمة رأس التمثال . يلبس درعا كانت تهم
فى القصر المضى . وكان الشمع متكتلاً على حربة طويلة فلما در
مقابلة رفع دره ثم الى الامام قليلا كأنما يمدق النظر الى ستر
نحته وبعد ذلك رفع حربته ثلاثا وحق رأسه ثلاثا تحية الى والى
من ذلك كله فرد ذراعيه واخفى عن ال

سألت فيلو بعد ذلك عما اذا كان رأى هذا الشمع أحصا ما يار
بلهجة الارتياب كأنه لا يريد الحرف فى مثل هذا الموضوع قائلا
— كلا . ليس من عادى البحارة ان يراوا النار لم ذلك لرأس

نور القمر واذا فعلوا وانفق أن وقعت أعينهم على مثل هذا الشبح
الذى أخبرنى به فإنه - على ما يقولون - يقذف حربته نحوهم فيكتب
عليهم الموت قبل مضى عام ومع ذلك لم يلق حربته نحوك يا ابنة ايزيس
وانما حتى رأسه لك وحيالك نحية الملوك وعلى ذلك ان يصيبنا أذى
فابتسمت وقلت ان روحى المتصلة بالسما لا تخشى غضب أى ملك من
الملوك القدماء

كان هذا آخر ما جرى بيننا من الحديث في هذه المسألة ومع ذلك
خطر ببالى خلال الاجيال التالية ان فى قصة ويلو شيئاً من الخفية
وان هذا الملك القديم ظهر على هذه الحال الكي يحى التي قصت يد القدر
بان تتولى الحكم على بلاده أجيالا عديدة

دخلت غرفتي ونمت فلما استيقظت في الصباح رأيت السفينة تمر
من النهر الى قناة صناعية ضيقة تعذر السير فيها بقوة المجاذيف وعلى
ذلك نزل فريق من التجار الى الرء أخذوا يجذبونها بالحبال وهم يسرون
في طريق تماشى القناة

سرنا على هذه الحال ثلاثة أيام لم تقطع فى خلالها مسافة طويلة لأن
جذب سفينة كبيرة كهذه كان شاقا فلما جن الليل لقت السفينة مرساها
بجانب الشاطئ

لم ير في خلال هذه المسافة أحداً من السكان ولو اننا شاهدنا كثيراً من
الخرائب والاطال . ولواقع كانت نفراء كثيرة المستفعات الكبيرة
لا ترى فيها غير الوحوش ولا فاني الكبيرة التي لم أر لها مثيلا
أخيراً وصلنا في ظهر اليوم الرابع الى بحيرة حيث انتهت القناة .
وكانت هذه البحيرة فيما معنى ميناء شاهدنا أرض ممتدة من البحارة

شدت اليها زوارق صغيرة مهمة فقال فيلو يجب أن نزل الى البر هنا ونسير براً ، فبادرت السفينة آسفة لان الايام التي قضيتها على ظهرها كانت سعيدة هادئة مثل واحة خضبة وسط صحراء حياتي الشاسعة المجدبة .

لم نكد نضع أقدامنا على الارض حتى ظهر جماعة من الرجال لأدري من أين أوا ، وكانوا حسان الوجوه تبدو عليهم سياء الزانة والقسوة يرتدون ثياباً بيضاء من الكتان كالـكهنة . وكان رئيسهم يتكلم باللغة العربية العتيقة التي أعرفها

وكان مع هذا الجيش المسلح بالحرايب والقسي جماعة أخرى من الرجال يحملون الثقلات . فاخبرني فيلو ان هؤلاء الرجال حراسي . على ان صري كان قد نفذ الآثر فتعولت اليه وقلت غاضبة

.. لقد استودعك نومي الى الآن كما كتب علي فأتوسل اليك أن تحررني لماذا قطعت هذه الرحلة الطويلة في للبحر الى أرض لم تطأها قدم انسان والى أين نحن ذاهبون مع هؤلاء البرابرة ؟ لقد جئتني في ساعة عصيبة حاملاً رسالة معينة فسرت معك مختارة دون أن أسألك شيئاً عن معنى هذه الرحلة الغريبة أما الآن فاني اطلب اليك أن تفصح لي عن الحقيقة كلها

حتى فيلو رأسه أما هي وقال

.. ادعني أيها السيدة المقدسة ن ما امسكته عنك كان بامر رجل عظيم هو نوت الشيخ لوقور والآن أقول انك ذاهبة الى بلاد حقيقة والحي الى بلاد جديدة للماني نرت أستارك وسيدى
سأنته قائلة

— هل سألقاه بالروح أو بالجسد ؟
— بالجسد يا سيدتي اذا كان لا يزال على قيد الحياة كما يقول هؤلاء
الرجال . لقد خدمتك بامانة واخلاص الى الآن فاذا خذناك دونك
روحي ثمناً لخيانتي ولا تسأليني المزيد
فقلت باطمئنان

— هذا يكفي ، سر بنا
ركبنا المقلات ثم سرنا بعد أن وضعنا كنوزنا الثمينة في نقالات
أخرى حملها الرجال أمامنا وتركنا حرساً لحراسة السفينة « هابي » .
وقد مكثنا أربعة أيام سائرين مثل قفلة من التجار في طريق واسعة نجت
سهولاً وبعثت نفحات كبيرة وكما نبت أثناء الليل في كهوف أو تحت
مظلات جباء الرجال بها لهذا الغرض

وكانت هذه رحلة غريبة قت بها يحيط بي رجال باروف مقوم
صامتين يسرون بسكون كالشبح . يومين الليل أكثر من النهار .
والمرء خطر به الي غير ، اني هاتي الى الرجال ، أسسوا من البحر
ليقودوا اني تلك الى بواب اي لا يعرف ، انها أعطت من الاحياء . و .
دب الخوف على قلوب رفاقي من الكهنة الكاهنات فكانوا يتعلقون بي
أثناء الليل ويتواءموا الى أن اخرجهم الى بلاد طاسة ووجهه ما رآه
فكنت اغريهم واشبعهم قائلة اني املهم أن يتبعوا ما انا عليه وان
المعبودة قريبة منا كما كان في . ثم أوردتهم بالايام فأنه
— لا نستطيع أن نعرف متى نصلهم . وراى انهم ، وراى انهم
اذا ضاع باناداهم بالخوف الظاهر انهم كانوا روحاً شيئاً
والظن انهم في هذه الساعات لو باركهم ربه .

ان نفهم بي لا تقدر مهما بلغت شكوكهم من نحو أمور أخرى
وعلى ذلك واصلنا السير فاجتزنا بلاداً شاهداً فيها أناساً آخرين
من جنس هؤلاء الرجال الذين علمت فيما بعد أنهم يدعون «امة حجره»
وكانوا يقطنون القرى ، تحيط بهم قطعان مواشيهم أو يعيشون داخل
القفار والكهوف جحانات

أخيراً رأينا أمامنا جبلاً شامخاً تبدو آكامه العالية على شكل سور
هائل لا تستطيع العين أن تحده . وقد اخترقنا هذا الجبل مراراً
فبه فوجدنا بداخله سهلاً واسعاً خصباً به مدينة أكبر من منف أو
طيبة ، نصفها خرائب واطلال

اجتزنا قنطرة طويلة فوق مجرى غنيق من الماء ثم دخلنا أسوار
المدينة وسرنا في شارع عريض أقيمت على جانبيه دكاكين مبهورة
تهدم بعضها إلى أن بقيت أكوام من الحطب على شكل جبل يشبه هيكل سليمان
يحتازلهم في رءوسهم

دخلنا هذا الهيكل بعد أن زلنا من النقالات التي كنا نركبها ثم
مرنا إلى معبد دخلنا غرماً مقوشة كأنها أعدت لآلة (الحيت
نفساً ما سار الدمار وأكدا

سار الدمار ... لك ... صغيرة منارة بجح ... ليل
كان قد أرحى ... ول ... بها الكرمي لورثمة كان ... مستخدمته
في ... كل المبهورة ... فيه طوطا ... من ...
... من من ...
اذ رأيت من من ...
... ...

ونفحات حيرة تنفي لي . وصغوف من الارواح تظهر وتختفي فكانت
تقص علي شيئاً كثيراً من قصص الاولين والآخرين وتروي لي تواريخ
الشمس وما قالت من عظيمة ومجد وفخار . وأخيراً احتشدت وأخذت
محيبي قائلة

— مرحباً أيها الملكة المختارة . شديدي ما سقط واكتشني ماضع
واحنى . في يديك القوة والفرصة ولكن حذار مما ينربك ، حذار
من الجسد معاده أن يغلب الجسد على الروح ، فبسقوط الروح تضعفين
خزائنها حرب ، دمار الروح على دمار الجسد
تومت من رؤى هذه فرأيت ديلو واقفاً أمامي فقلت له -

— اصبر لي يا ديلو . لا يستطيع أن احتمل شيئاً من هذه
اللافور والرمور . لقد حزن الحزن الذي يجب فيه أن تتكلم أو تستهدف
لذهبي قل لي لماذا حدثت لي في هذه البلاد الغريبة البعيدة حيث يتخيل
أي شيء لا بد لي أن أعش بين الاملال والخرائب ؟
فأجابني قائلاً

— لأن نوت القيس مرني بهذا يا بنت الحكمة ألم تمرني رسالته
التي عسبتك ابدا في حيرة الغيب بصر ؟

— ولكن بن نوت دن ؟ لا أراه هنا . هل مات ؟

— لا أظن به مات يا سيدي ولو انه مات بالنسبة الى العالم . لقد
سار سكب قطير صرمعة في مكان مخوف بالخطر على مقربة من
هذه المدينة . سار نوت اميه ناداً شتت وسترينه على هذه الحال بعد
أن فهمي أعور . سار به دن أن يعادر صومعته الاسكي يأتي بطمامه
نوت جدير به

— قصة غريبة يا فيلو ولو انني لا أعجب اذا كان نوت قد صار
نامسكا لان هذه كانت رغبته دائما . الان أخبرني كيف جاء نوت الى
هنا وانت معه ؟

— تذكرين أيتها السيدة ان نوت ركب سفينتي منذ أعوام بعد
سفر فرعون الى بلاد النوبة وسافر الى المدن الشمالية ليتفق مع القرس
على اغناء الهياكل التي لم تمتد اليها يد الظلم والدمار
— نعم اذكر لك يا فيلو ، فاذا جرى في رحلتكما هذه ؟

— كاذ يكون نصيبنا الهلاك لان القرس ارادوا أن يصطادوا نوت
ومن معه لكي يمدبوه حتى يدلمهم على كنوز المعبودة ايزيس ويكشف
لهم عن أسرارها . على أننا استطعنا الافلات من ايديهم بفضل مهارتي
البحرية وشجاعة ذاك الجندي كالكرانس فوصلنا الى تلك القناة المعروفة
باسم « طريق رمسيس » ومنها الى البحر الاحمر لاننا وجدنا أنه يستحيل
علينا العودة الى النيل ثانية . وقد أمرني نوت بعد ذلك ان أبحر
جنوبا في طريق كان يعرفها جيدا على ما يظهر اوارتها أياه المعبودة ،
لا أدري . وعلى كل حال أطعت أمره الى أن وصلنا في النهاية الى الميناء
التي تقوم في مدخلها تلك الصخرة المنحوتة على شكل رأس زنجي ثم
مرة في هذه الطريق بارشاد نوت أيضا

فألتفت بصوت يدل على عدم الاكتراف مع ان قلبي كان يلتهب
شوقا الى معرفة جوابه ، قائلة

— وكالكرانس ؟ ماذا أصاب كالكرانس الذي رافقكما في رحلتكما
عني ما أرى ؟

— هذا يا سيدتي ما أعرفه من قصة كالكرانس والاميرة امونارتس

— الاميرة امونارتس ! ماذا تعني بقولك هذا يا فيلو؟ لقد سافرت الى أمالي النيل «جنوباً» مع أبيها نحت — نبت — كلا أيتها السيدة ، انها ذهبت في النيل «شمالاً» برفقة كالكراتس أو برفقة فوت أو منفردة . لا أدري مع من اختبأت لانني لم أرها ولم أعلم أنها على ظهر سفينتي الا بعد أن قطعنا مرحلة يومين في البحر وابتعدنا عن شواطئ مصر

فسألته يبرود بالرغم من قلبي المنعم بالغيظ قائلة
— حقاً ما تقول ؟ وماذا فعل فوت عندما وجد أن تلك المرأة على ظهر السفينة ؟

— لا شيء يا سيدتي ، غير أنه نظر اليها بارتياح وقادها الى الغرفة التي كنت تنزلين بها

— وماذا فعل الكاهن كالكراتس ؟ هل حاول التخاصم منها ؟
— كلا يا سيدتي لان هذا كان مستحيلاً ، ما لم يلقها الى اليم . لم يفعل كالكراتس ايضاً شيئاً لانهم انه كان يخجلها فقط — أو هذا ما رأيته — اذن أين هي الآن يا فيلو وأين كالكراتس ؟ لا أياهما في هذا

المكان

— لا أستطيع القول يا سيدتي ولكني أظن أنهما ماتا وانفصلا الى أحضان أوزوريس . فقد هبت عاصفا طامفا بعد بضعة أسابيع في البحر ، ودفعتنا الى جزيرة تجاه الشاطئ فاحتميناها . وهي جزيرة خصبة جميلة يقطنها قوم بسطاء ، ولكن لما استأنفنا السفر ثانية لم نجد كالكراتس والاميرة امونارتس على ظهر السفينة ولم نستطع العودة الى الجزيرة ثانية لابتعدت عنهما بسبب الرياح التي كانت تدفعنا الى الامام .

وند سألتهما أصابهما فعلت من البحارة أنهما كانا يصطادان معا خنازير وحش من وحوش البحر وجذبهما ففرقا بلا مرء
— وهل تصدق تلك القصة يا فيلو ؟

— كلا يا سيدتي . لقد ادركت في الحال أنها قصة أغري البحارة بالمال على ذكرها . أما أنا فظن أنهما ذهبا الى الجزيرة في زورق من زوارق الذين يقطنون هناك لأنهما لم يستطيعا على ما يظهر ان يتحصلا عيني نوت الباردتين وهما راقبانها أولانها أرادا أن يجنبا شيئا من اللقاقة ولكني لا أرى داعيا لذلك بعد أن جاء سكان الجزيرة اليها بكية كبيرة من اللقاقة

— لا ريب في انها فضلا ان يقطعا بايديهما يا فيلو
— ربما يا سيدتي اوربما اراد أن يقيم هنية في تلك الجزيرة . وقد لاحظت على الأقل ان الاميرة أخذت ثيابها وحليها معها وهو مالا تستطيع عمله اذا كان وحش من وحوش البحر قد اغرقها
— هل انت واثق من انها لم تترك بعض تلك الحلى . . . في صيانتك يا فيلو ؟ من الغريب جداً أن تأتي الاميرة اموناريس الي سفينتك ثم تغادرها دون أن تعرف عنها شيئاً
فتظاهر فيلو بالبساطة وقال

— لا ريب في انه يحق لربان سفينة ان يأخذ اجره من الركاب ، وهذا ما اعترف بانى فعلته ولكني لا ادري لماذا تنقضب بنت الحكمة لان كاهنا اغريقيا وسيدة نبيلة تركا معا في جزيرة ربما كان لاحدهما او كليهما فيها اصداقاء

فاجبته قائلة

— الست الحارصة على كرامة المعبودة وشرفها ؟ ثم الا نعلم ان
كل كراتس انذر نفسه بموجب قوانيننا للمعبودة دون سواها ،
— اذ كان الامر كذلك فان ذاك الضابط او الكاهن يذكر تمهوده
فيما مل تلك الاميرة معاملة الاخت او الام . وعلى كل حال في وسع
المعبودة ان تسمى كرامتها فلماذا اذا تكبدت نفسك كل هذه المشقة
من اجلها ؟

الفصل الثامن عشر

قصة فيلو

« واخيراً لا يبعد أن يكون كلاهما في عداد الاموات الان وقدما
حسابهما الى ايزيس في السماء
اخذ فيلو يهذي على هذه الحال ذاكراً اكدوبة بعد اخرى مثل
عادة الاغريق فاصغيت اليه الى أن عيل صبرى فقلت له كلمة واحدة
تقط وهي .

— اذهب —

فحنى رأسه وانصرف وهو يتقسم على ما أظن
اواه ! لقد ادركت كل شيء الان . لقد در نوت هذه المسيسة
لكي بقصي كالكرانس على فلا تقع عيناي عليه ثانية . وقد علم فيلو
بهذه الحيلة ومنه وقعت اموراتس عليها كذلك لا غرت فيلو بالمال .
دون معرفة نوت . لكي يخفيهما في السفينة الى ان يتعمدوا عن البر .
ولا ادري هل كان كالكرانس مطالما على هذه الخطة ولا يكن هذا
لايمني كثيراً . ثم وقعت الحوادث الباقية بعد ذلك . فظهرت اموراتس
على ظهر السفينة وألقت شبكاها حول كالكرانس الذي أقسم انه فرغ
منها ، وليس من الصعب معرفة ماتم بعد ذلك : فقد تار غضب نوت
عليهما فلما سنحت لها الفرصة فراء من وجهه الى الجزيرة حيث كان
يمكثان بها الى ان يجدا سفينة تغلبها الى مصر أو اية بلاد أخرى .
هذه هي القصة بلا مراء وقد تبين فيما بعد أنني لم أكن مخطئة فيما

ذهبت اليه

حسن . لقد ذهبنا وأرجو ان يكون الموت ادركهما لانه الستر الوحيد الذي يمكن ان يخفي خطيتهما ، اما انا فقد انتهجت . لخلاص من كالبكراتس وحبه . على انى بكيت ، انا بجالة على مقعدى اسفأعلى مالق ايريس من المهانة ، او ترى هل كنت ابكي على حالى ؟ لا ادرى وكل ما اعرفه ان دموى كانت تحدر على خدى . وفوق ذلك شمعت بوحشة فى هذه البلاد الغريبة

لما انيت الى هما ؟ لا ادرى لقد امر نوت الذى يقسم فيلو انه لا يزال على قيد الحياة ! لماذا لم يأت ليحيينى ؟

غطيت عيني بيدي ثم ارسلت روحى الى نوت وناديته قائلة
— تعال الى يانوت ، تمال الى يا ابت المحبوب
فاذا سمعت ؟

سمعت صوتاً مألوفاً اذكره جيداً يحيينى قائلاً
— هانذا يا ابنتى

ارخبت يدي ونظرت بعيني المبلل ين بالدموع فرأيت نوت أمامى واقفاً بثوبه الابيض ولحيته البيضاء وقد نحل جسمه حتى صار خيالا وامرئ خيل الى هنيئة اننى ارى شبحه فلما تحرك وسمعت خفيف ثوبه ايقنت ان هذا هو نوت الذى قطعت الوفاً من القراسخ لسكى اجده قت وهرعت اليه ثم امسكت يده النحيلة وقبلتها فى حين كان يتمتم قائلاً :

— اخيراً . اخيراً . يا ابنتى !

ثم مال ومس جبينى بشفتيه فقلت له

— لقد جاءني نداؤك في ساعة عصبية فلبيت الدعوة وانيت . وقد
جئت بدافع ايمانى فلم الق سؤالا وما قد وصلت بسلام لان المعبودة
رافقتني في رحلتى الى ما اعتقد . اخرنى بكل شيء يا سيدى . فما هذا
الذي كان ؟ وكيف جئت اليه ولماذا دعوتنى اليه ؟
جلس الى حائبي على المقعد وقال

— اصنعي الى يا ابنتى : ان هذه المدينة تدمى خور وكانت فيما مضى
عاصمة على العالم ثم جاءت بعدها بابل وصور وطيبة واذريا . والى هذه
المدينة يرجع اصل المصريين وغيرهم من الشعوب التي زحفت منها في
المعصور المظلمة البائدة . وكان اهل هذه المدينة يعبدون ايزيس في تلك
الايام وانما سموها باسم « الحقيقة » وهي التي يعرفونها في مصر باسم « سمات »
ثم حاد كثيرون من اولئك السكان عن عبادة ايزيس وهي ملتفة في
وشاح « الحقيقة » وعبدوا الها اخر اسمه « ريزو » وهو صنم وحشي
من أصنام الشمس كانوا يقدمون اليه ذائح من البشر كما كان اهل صيدا
يقدمونها الى « ملوخ » . نعم كانوا يقدمون الذبائح من الرجال والنساء
والاطفال وتعلموا أيضا أن يأكلوا لحمهم . وكانوا يفعلون ذلك في البداية
تنفيذا لاوامر دينهم ولكنهم صاروا فيما بعد يشبعون بها بطونهم .
فلما رأت المعبودة ذلك نار غضبها وضربت الشعب بوباء فتاك أبادهم
على بكرة أبيهم فلم يبق منهم الا القليل . وهكذا سقطت خور بسيف
الاله كما سقطت صيدا لسبب كهذا
فقلت بحال .

— خبرنى عن كل ذلك فيما بعد وقل لى اولا كيف جئت الى هنا ؟
لقد ابجرت منذ سنين عديدة في النيل لتتفق مع الفرس على اغفاء

الفصل التاسع عشر

صومعة نوت

ساد السكوت بيننا هنيهة اطرق كلانا في خلاها الى الارض . اخيراً
سألتني نوت قائلاً

- اخبريني ماذا جرى في مصر بعد سفر فرعون الى الجنوب وهل
لا يزال اوخوس على قيد الحياة ؟
فاجبته قائلاً

- كلا يا ابنتي ، لقد مات اوخوس وكان هلاكه على يدي
ثم قصصت عليه ماجرى في هيكل ايزيس واحتراقه واحترق القوس
الذين انتهكوا حرمة ، فتمتم نوت قائلاً

- انه عمل عظيم ولكن ياله من عمل مريع !
- اذن يجب أن نتحمل روحك نصيبها من التبعة يا ابنتي لاننا معننا
صوتك في المقصورة يخاطبنا عند ما ندينك في ساعة محنتنا ولدي
شهود يمززون قولي هذا وهموا صوتك كما هممته

- ربما يا ابنتي . حقا خيل الى منذ شهور انك استنجدت بالسما
في ساعة خطيرة وخيل الي انني امرت ان اجيبك قائلاً : « تقدوا ولا
تخافوا » على اني لم اكن أدري شيئاً عن مملك ولو أنه خطر بيالي أنه
يتعلق بحرق هيكل

- صدقت في زعمك هذا يا ابنتي فنقذت ارادة السماء كما يشهد
بذلك اوخوس ومن كان معه من البرابرة ، أمام جميع الآلهة الى ان قضاه

الدهر وقد أرتاحت الأرض الآن من شرهم واذامهم وهم الآن في النار .
فلندعهم الآن مع تينس وغيره من الكهنة والملوك الكاذبين واخبرني
أولاً لماذا جئت الى هناك ولأى غرض استدعيتني من مصر ؟ هل
أردت أن تنقذني من الموت ؟

- كلا يا مائشة أردت ان اتذكك مما هو شر من ذلك . لماذا أُمْنِع
عنك نعمة الموت العظيمة التي سأناها عما قريب ؛ لقد دعوتك تلبية
لأمر تلقيته وهو أن تحبي عبادة ايزيس هنا في خور مهدها القديم بعد .
أن تلاشت عبادتها في مصر . فقضت الارادة أن تقيمي هنا وتحبي هذا
الشعب وتسيرى به في سبيل العظمة بمساعدة ملكة السماء التي ستقوده
في النهاية الى المجد والفخار

- هذه مهمة خطيرة يا ابنت ومع ذلك يحتمل القيام بها بمساعدتك
واذا وهبتني الالهة الحياة والحكمة

فهب الشخ رأسه وقال

- لا تعتمدى على مساعدتي لان أيامي انقضت أو كادت تنقضى
ألم يخبرك فيلو أنى طلقت العالم ومافيه ، انا الذى قضيت السنين الماضية
في سومعنى في مكان مخيف ، ساجداً في أمور عديدة مقدسة ؟
فأجبتته بدهشة قائلة

- كلا يا ابنت . لم يخبرني شيئاً أو لم يخبرني الا القليل طوما لامرك ،
أو هذا ما أخبرني به

-- نعم هو ذلك والآن حان وقت عودتى الى سجنى الذى جئت
منه حيث انتظر ذاك التغيير الذى يسمونه الموت . لقد لعبت دورى
أما أنت فلا تزال مهمتك أممك وسيساعدك فيلو على القيام بها

— لماذا تعيش في ذلك المكان يا أبت وتتركني بلا مرشد من
حكمتك ؟

— لأنني هناك احرس مرآاً رهيباً عرفته منذ مدة طويلة ولا يهلك
كيف كشف لي ولكمه أعظم سر في العالم بأسره — سر الافلات من
الموت والعيش على الارض الى الابد .

حدثت اذ ذاك اليه المظروقة زعمت ان الشيخوخة والانتقطاع
عن العالم ذهبا بعقله . على انني سألته على سبيل التجربة قائلة

— اذا كان هذا السر عظيماً الى هذا الحد فلماذا افشيت به لي ياسيدي ؟

— لان هذا يحتم علي . ولاني اذا لم افعل اكتشفته بنفسك . ولما
كنت لا اضمن عنه شيئاً فأتيتك تقمين في شرك بلا مراعاة وندسين ثوب
الخلود ولهذا السبب لم اكن أريد دعوتك الى خور حتى تلقيت الامر
بذلك مرتين

حطرت ببالي فكرة جديدة اهتز لها روعي فقلت اذا كانت
هذه القصة الغريبة حقيقية وذ كان في هذا لعالم باب وودي الى الخلود
فلماذا لا اجتره واصير في مصاف الالهة ؟ على انني لم اصدق انه
حقيقة فقلت

— لا ريب في انك حلمت في عرايك يا أبت أما ذا كنت واقعاً
من حقيقة ما رويت فلماذا لا رتبني ، أنا طائفة ثوب الخلود هذا .

— لان كل من يتجرأ — رجلاً كان أو امرأة — على أن يأكل من
هذه التذكرة المحرمة على الجنس البشري هنا على الارض حيث الموت
مكرس عن الجميع ، يكون قد انحرف عن دخول الجحيم سواء كان
رجلاً أو امرأة

فأجبت قائلة وقد ابرقت ميناى

— أظن غير ذلك يا سيدي اذ اعتقد ان تلك المرأة أو ذلك الرجل

يدخل المجد ويصير حاكما على العالم

— كلا يا مائكة لان السماء تقضى جميع اقدام البشر عن تلك الائمة

المريعة ، ائمة المجد والفخار . اصفي الى يا ابنتى وطهرى روحك من

جنون هذه الشهوة . لقد عهد الى ان اكشف لك عن هذا السر الذى

اطلعت عليه لهذا الغرض على ما اعتقد لكى تطهرى عظمتك برفضه

لانه اروع ما قدمه اله الشر لافراء المرأة الفانية

— او هل تمنى بقبوله يا ابنتى ؟

— كلا . كلا . فكري فى الامر . هل تزعمين ان العالم مكان صالح

للخالدين ؟ وفوق ذلك فان السر الذى احفوه هو روح العالم لا الخلود

القوة الخفية التى تستمد منها الارض قوتها . ولكن هذه القوة ستموت

مع الارض لان هذه لا بد ان تموت فى يوم لا يزال حقيقيا فى اعماق الزمن

وعلى ذلك لا يصير للشارب من تلك الكأس خالداً وانما يعمر طويلا

ويتلاشى فى النهاية مع هذا الكوكب الرائل فلا ينجو من مغالب الموت

وانما يتأخر احله الى حين . وفى خلال ذلك يتحمل المتاعب والوحشة

ويراقب الاجبان وهى تمر به تباطا وهو واقف غريب عنها مثل صخرة

صورت على صورة انسان بعيد عن الحياة تمرق قلبه مضطربا وحبا

وكرها وآمالها ومخاوفها ، ينتظر وهو رجل تلك اللحظة الممينة التى

تار فيها الارض ويبلغها المرات معه

د اننى شيخ طاعن فى السن ضعيف ، فاما اردت يا مائكة ان تشرى

هذه الكأس لان يدي الضعيفة لا تقوى على نزاعها عن شفيتك . على اننى

اخضرع اليك محق حبي لك ان تنبذى هذه الفكرة جانبا واعلمي ان روحك
خالدة وأن مسكك معد في السماء فلا تطمعي اذن في اللباس جسديك
توب الخلود لانك اذا قدمت علي ذلك يا مائشة تصيرين مثل مومياء
مدهونة في قبر تبدو عليك مظاهر الحياة والمكنك ميتة وباردة من
الداخل. اقسمي لي يا ابنتي ان تغلقي على هذا السر في قلبك وتلقي السم
بعيدا عن شفيتك
فاجابته قائلة

انك تنطق بالحكمة كن اوحى اليه بالحقيقة . لقد استقرر رأيي على
أن اطيع امرك ولكن اخبرني يا ابنت ما هو هذا السر اذا كنت قد يجب
لي بشئ منه تاخريني كل شئ والا دفعتني الرغصة الى اكتشافه بنفسى
— اعلمي يا ابنتي أنه وجد على مقربة من هذه المدينة العتيقة بين
الكام الجبلية وفي اعماق الصخور ، نار دوارة تحترق هي روح العالم
نفسها وقلبه الملتهب الذي يعطها الحياة . ومع ذلك فليست هذه النيران
نارا محرقة وانما هي جوهر الحياة فمن بغاسل فيها يمتليء . لذلك الجوهر
ويبقى مادام افيا

فسألتها : يا تيا — فائلة

— أنه يهلك من يمدحها ؟

كث اود أو يتسرب هذا الاعتقاد الى قلبك يا ابنتي فيذهب عنى
خوف عظيم ولكن لا اجراً انا خادم ايزيس علي ان اكتم عنك
الحقيقة لان في عملي منذ نكثنا به ردى وفوق ذلك لا احاطبك بلسان
وانما بلسان قوة اعظم منى — لمطنا وعلى ذلك يجب أن اكشف امام
هينيك من كل نقاب واريك الامور كما هي لا كما يريد ان تكون .

يا ابنى ان تلك النار لا تهلك من يجرأ على الوقوف في طريقنا
 وإنما تعطيه الحياة ومعها قوة وجمال وحكمة لم يتمتع بها السالك . كما انها
 تلتقي على رأسه ويلات وكوارث ومطامع وأهواء لم يشعر بها قلب بشر
 وهذه هي الحقيقة يا ابنى فلا تسألنى كيف جاءتنى ولا ما هو
 الصوت الذى يلقيها على مامعك بلسانى . كانت هذه الحقيقة منذ
 لحظة مرأ مكنوناً في صدرى لا يعرفها أحد غيري فصارت الآلة
 ملكالى ولك . ومع ذلك أتوسل الى القوة التي جئنا منها واليها نعود
 أن تعطيك القوة وتهبك الحكمة لكي ترفض كل شيء بعد أن عرفت
 كل شيء وتسيرى بصبر الى النهاية التي تصل اليها قدما كل حين
 - هل لك أن تربى هذه النار يا أبت ؟

فاجابني بصوت خافت قائلا

- نعم اذا شئت . ولكن لما تريدن النظر الى ما يثير في نفسك
 روح الرغبة ؟

تغلب عليه للضعف اذ داك فحارت قواه ولو لم امسكه لسقط
 على الارض

أقام نوت ثلاثة أيام في خور تحدث معي في خلالها في أمور عديدة
 ولكنه لم يشتر بكلمة الى نيران الحياة الخارجية كما كان هناك اتفاق عام
 بيننا على أن ندع هذه المسألة - ذات . وكان لدينا مرور كبيرة فاجبرته
 بكل شيء وقع في مصر وغيرها ، واجبرته كيف أطاعت كلمة وتفقدت
 ارادته حرفياً لحظت على عباده ايزيس في هيكلمها بالوعم من عداة الفرس

٧ - في عائلة

ولحتفلت بأعيادها في مواعيدها ولو انى لم استطع مفادرة الهيكل
أو نحاوز أسواره فقال نوت لما فرغت من حديثي

— اذن كنت ناكمكة في منف وأنا كنت ناسكاهنا في خور ،
فكلانا والحالة هذه حدم المعبودة على قدر طاقته . لقد انتهت مهوتي
أما مهمتك فلا ترال أمامك ولا ترال لديك قوة على القيام بها ولو ان
أيام شبابك قد انقضت

فاجتته نشيء من الامي والحزن قائلة

— نعم ذهب شبابي في خدمة السماء وبلغت الآن منتصف العمر
ولكن ماد اعطى السماء بعد هد الضال والكفاح ؟ لا شيء غير هذه
الارض الممحورة الوحشة التي كتب علي أن أعيش فيها بين الاطلال
والبرابرة وأن أعيد محد دين اندنر واجمع هؤلاء الوحوش الى جيوش
وأظمهم وأن لهم قواين يطيعونها وأحوض غمار المعارك واررع
الاراضي وابي السفن وجمع الضرائب وانفقها بكمكة واعمل بدون
انقطاع يوما بعد يوم . لا أجد في الليل راحة لما ينتظرني في النهار من
المتاعب . فلا بد لي ولحانة هذه من أن امير كاهنة وقائدة ومشرفة
وحاكمة ورارعة ومكمكة في أرض غريبة لا صديق لي ولا وزير ولا
حب تمنع به ولا طعل يعينونني في شيخوختي أو يوارونني التراب
هذا هو نصيبي الذي أعطته لي المعبودة جزاء متاعى

فتم هذه الكلمات بنفس متأثرة وقلب مغمم بالغيظ . على أن نوت
أجابني وعلى نعره انه مة رقيقة قائلا

— ربما لحقت ما هو شر من ذلك وعلى كل حال لك فكر راجح
وعقل مدبر فني وسمعت أن نهيء كل شيء من جديد كما تشهين . انك

تتمتعين القوة وستكونين هنا حكمة مطلقة وملكة مطاعة فلا تجدين
من يقول لك كلا ولا منافساً يناوئنا لانك تريدن أن تعيشي عذراء
أنت التي تزوجت الروح فسوف لا ترين هنا أحداً من الملوك أو الامراء
الذين يدسون لك الدسائس لكي يحطوا بملاحتك ويخلقوا لك المتاعب.
ثم كانت رغبتك أن تناجي الطبيعة والقوة المقدسة التي تخرج منها
غيتها في هذا المكان المنفرد يوجد بيت الطبيعة نفسها ، وفي العزلة
والانفراد تأتي القوة المقدسة الى الارواح المتعبدة

« فعمليك أن تشكري المعبودة التي أجابت دعواتك وحقق
مطامعك . ستجدين الراحة الابدية في قبرك بعد انتهاء مهمتك واللقاء
اعباء متاعبك . وستسيرين هما قريب مني وعند ما يأتي ذلك اليوم
ستجلسين في صومعتك المظلمة حيث تنتظرين النهاية بصبر وانا اذا علمي
يا عائشة ان الحياة ليست الا سلا يجب أن نصعد درجاته فالم ومشقة
بعد أن نعاني ما نعاني من الالهوال والمتاعب

- وادا بلغنا القمة فاذا يكون بعد ذلك يا أبت ؟

- لا أدري يا ابنتي ولكي اعلم اذا ادا هوبنا الى الله ع تحتم علينا
صعود الدرجات ثانية فقط ستكون درجات السلم في هذه المرة مملوءة
بالاشواك .

- يلوح لي ان صومعتك التي تعيش فيها ليست مكاناً للسرور يا أبت

- كلا يا ابنتي انها مكان الالام والقدم أما المرح ففما وراء ذلك .

هذه هي فلسفة الحياة وتعاليم كل دين . فحملى اسماء الاحزان ولا كسار
أولاً وبعدها تأتي الافراح أو اباحي وفرحى وبعده تحمى عبه
الاحزان .

— يالها من فلسفة محزنة يا أبت ودروس كالتى يتعلمها العبيد تحت ضرب الأسياط

— نعم يا عاتشة ولكن لا هندوحة من تحمل آلامها كما يستطيع
 قينس وأوخوس وغيرهما من ذهبوا الى العالم الآخر أن يجبروك
 نطق نوت بهذه الكلمات البليغة وهو على هذه الحال من الضعف
 والهزال مثل بندقة فارغة جفت حبثها اذا زرعت لا تنبت نباتاً . وقد
 استمر الشيخ يتكلم الى أن مللت حديثه الحزن فعادت بي أفكارى
 الى نيران الحياة التى تدور بقوة نشاطها تحت صومعته والتى اقسم بأنها
 الجمال والشباب والمجد والسلطان لمن يجيد لديه للشجاعة على مواجهة
 أهوالها .

رافقت نوت فى اليوم التالى الى صومعته التى حن الى هدوئها
 وسكونها على ما يظهر حتى انه لم يطق الابتعاد عنها ساعة أخرى بالرغم
 من توسلاتى اليه ، أنا التى يحتمى أكثر من كل شىء آخر فى العالم
 وكانت الرحلة شاقة قساها فى نقالات سارت بنا الى سفح المنحدر
 العظيم الذى يحيط بسهل خور مثل سور منيع ، ثم تسلقنا أكمة فى هذا
 السور ودخلنا باباً صخرياً لا تراه العين من تحت الى أن وصلنا الى مدخل
 كهف ، وهنا لاحظت ان سكان هذه الارض يقدمون طعاماً كثيراً الى
 نوت الذى يجولونه ويكرمونه . وهنا أيضاً أضاء الجمالون المشاعل لانهارة
 الطريق الذى يخترق الكهف وكان ماربقاً طويلاً وعراً
 أخيراً وصلنا الى نهاية الطريق فرأينا أماننا هوة مريضة . وكان
 للسماء يظهر على مسافة أميال عديدة فوقنا خطاً أزرق ، وتحت أقدامنا
 هوة سحيقة مظلمة . وكان هناك لسان طويل من الصخر يمتد الى

هذه الهوة ، تخفى هياثه في للظلام فنظرت اليه بارتياح وقلت
- أين مسكنك اذن يا أبت وبأي طريق تصل اليه ؟

فتبسّم الشيخ وقال

- هناك وراء هذه الظلمة يا ابنتي . وهذا هو الطريق الذي يجب

على الذين يريدون زيارتي أن يسلكوه

ثم أشار الى اللسان الصخري الذي كان برئء من شدة الريح وقال

- لقد تعودت السير عليه وفوق ذلك لا يمسني عليه ضرر . اذا

كنت تخافين السير فوقه فليس عليك الا أن تعودي من حيث أتيت
قبل ضياع الوقت وربما كان من الحكمة أن تعودي

نظرت الى الصخرة المرتدة أمامي ثم نظرت الى نوت وقلت في نفسي

- كيف أخشى أنا مائسة التي لا تهاب انساناً ولا شيطاناً ، السير

خلف هذا الكاهن الضعيف ؟ كلا ، لن أحجم عن تجشم الاخطار ولو

كان فيها حتى وهلاك

وعلى ذلك حملت في وجهه وأجبت قائلة

- هيا يا أبت اسرع لان الهواء هنا يهب بارداً . سأسير أولاً وأنت

يا فيلو مر في أترى

وكان فيلو يرافقتني في هذه الرحلة فنظر الى نظرة استفهام ولكنه

لم يفهم بكلمة لانه كان رجلاً شجاعاً تجشم كثيراً من الاخطار والاهوال

أثناء رحلته الطويلة في البحار

وقف نوت صامتاً هنيهة ينظر الى السماء ثم سأل فيلو عن الوقت

فلما علم انه لم يبق على اختفاء قرص الشمس وراء الاكام غير مدة وجيزة

مشى بخطوات ثابتة فوق التلوة الصخري فتبعته وتبعني فيلو

وكانت هذه الرحلة مريمة في النور الضئيل الذي أخذ ينقص كله
تقدمنا في قلب الهوة الى أن التحقنا بشوب قاتم من الظلمة . وفوق
ذلك كان اللسان الصخري يضيق شيئاً فشيئاً والرياح التي تهب في الهوة
تزداد شدة

على اننا واصلنا السير مائلين بأجسامنا نحو الرياح ، وبينما كنت
أسير على هذه الحال شعرت بقلبي يقوى ويتشدد كما هي عادتي في وقت
الشدائد والاضطراب فوطدت العزم على أن أتغلب على كل ما يعترضني
من مشاق واذلل ما يصادفني من عراقيل . وقد تكون النيران المقدسة
التي كانت تتقد تحتنا هي التي نفثت في من روحها . لا أدري ولكني
اذكر انني شعرت بفرح شديد قبل وصولي الى التنوء الصخري الرهيب
وكدلت أعرب في الضحك عند ما رأيت فيلو يزحف خافئ بخطوات
متردة ويتمم بأدعية وصلوات الى ايزيس وغيرها من معبودات
الاغريق التي عبدها وهو طفل صغير

أخيراً وصلنا الى طرف التنوء الصخري الطويل الممتد في الظلام
واذ ذاك ثلاثي للضوء المنبعث من السماء فوقنا وتركنا في ظلام حالك
فجلسنا على طرف الصخرة المترعدة وتعلقت بفيلو وكان قد حذا
حذوي ثم خاطبت نوت وهو جاث على ركبتيه بجانبنا قائلاً
— الاكن ما العمل ؟ أرنا ماذا تفعل في الحال والا سقطنا الى هذه

الهوة السحيقة

فاجابني نوت قائلاً

— اثبتني وانتظري

تشبثنا بالصخرة ولم تمض لحظة حتى حدثت معجبه اذ انبعث من

كوة في الالكمة المقابلة لنا منهم أحر من النور الشديد، مثل سيف ملتهب
قاماط اللثام عن كل شيء يمكن رؤيته فرأيتنا را بضيئ على طرف الصخرة
تحتنا هوة سحيقة وفوقنا فضاء شاسع . ثم شاهدت على مسافة أربع
خطوات من طرف التنوء صخرة مرتعدة ضخمة تتصل بطرف التنوء
بلوح من الخشب وضعه انسان كان يعملو وينخفض تبعاً لحركة الصخرة
التي يستند اليها

صاح فوت اذ ذاك قائلاً

— اتبعاني قبل أن يذهب النور

ثم سار بخفة فوق القنطرة الخشبية ووقف فوق الصخرة المرتعدة
مثل شبح تضيئه نار او مثل ذاك الشبح الذي رأيته عند مدخل
النهر فوق الصخرة التي نحتت علي شكل رأس زنجي
تبعته وفيلو في أثرى فهبطنا على ضوء الاشعة الاخيرة سلماً خشبياً
منحوتاً في طرف الصخرة المرتعدة من الناحية الاخرى وبعد هنيهة
وجدنا انفسنا في كهف شاهدت فيه قرماً يحمل مصباحاً ، وكان غريب
الشكل لا ادري من اين جاء فخطر ببالي انه لابد أن يكون شبحاً من
عالم آخر ارسلته الالهة ليقوم بخدمة فوت في صومعته . ومن الغريب
انني لم استطع رؤية وجهه وكذا فيلو فقد كان هناك شيء يحجبه عن
الانظار مثل قناع على انه سواء كان شبحاً او روحاً او انساناً فقد كان
هذا القزم خادماً ماهراً لأنى شاهدت كل شيء معداً في الكهف اوبالخرى
في الكهوف التي كان يعيش فيها فوت ، فكانت النيران تنقد والطعام
معداً والسرد مفروشة في الكهوف الداخلية

وكان الكهف الخارجي مهيباً كذلك وقد رأيت في إحدى زواياه

تمثالاً صغيراً للمعبودة ايزيس كان نوت لا يفارقه مطلقاً . وقبل ان ،
 هذا التمثال كان يوحى الى نوت بما تريده المعبودة ويمنه بالحكمة ولا
 ادري مبلغ هذا القول من الصحة على انى اعلم أنه كان من دادة نوت
 أن يصلى امام هذا التمثال الميق الذى كان يحلّ ويجرّص عليه اكثر من
 كنوز الارض . وقد تأثرت نفسى هند لما وقعت عيناى على هذا
 المألوف الذى رأيت فى منزل ابى فى « اورل » وفى غرفة نوت ~~التي~~
 قيل وفى هيكل ايزيس بمصر وعلى طهر السفينة هاتى الى الاماكن الاخرى
 التى تقلنا فيها معا
 قال نوت :

— كلا واما لانه كما تضرعان بتمعب شديد

فعلت انا وفيلو ما امرنا به فاكلنا ورقدنا فى الكهوف الداخلية ونمنا
 وكان آخر شيء وقعت عليه عيناي قبل أن اغمضهما للنوم ، نوت وهو
 حاث يصلى امام تمثال ايزيس . ولا ادري كم ساعة نمت ولكن لا بد أن
 اكون قد استغرقت ساعات طويلة لانى لما استيقظت وجدت القمر قد
 اعد لنا طعاما آخر فى الكهف الخارجى ثم شاهدت أيضاً نوت لا يزال
 حاثاً امام التمثال وهو مشهد احاف فيلو وأثر فى نفسى كثيراً
 فت من فراشي وذهبت الى نوت فلما شعرت فى وقف على قدميه
 انجيتى ثم سألتى هل استرحت جيداً فأجبتة قائلة

— لقد نمت ولكن نومى كان مملوءاً بالاحلام التى لا اعرف لها معنى .
 وقد شاهدت فى خلال هذه الاحلام اشياء عن الماضى واخرى عن
 المستقبل وخيل الى انى رأيت نفسى اعيش فى معزل جيلا بعد جيل
 فى كهوف ومقارر كالتى تعيش فيها الان يا ابنت

يا ألقاه هذا ألقاه حاجتي قائلاً

— ادعوا الآلهة إن تقنيك شر هذا المصير يا ابنتي

— انها لم تفق عليك يا ابنتي . لعمري لا ادري كيف تطيق للميغ
انها ظامة هذه الحفرة المريمة التي تهب الرياح حولها لارقيق لك غصن
الفسكارك وقزم لا ينطق بكلمة . كيف وجدت هذه الصومعة وكيف
اتيت الى هنا وماذا دعاك الى اختيار هذا المكان الموحش وانعزله
صومعة لك ؟ اخرني بالحق ولا تخف عني شيئاً لان العجب قد اخذ
مني مأخذاً عظيماً

— اصغى الى يا عائلة . لما التقيت بك في بلاد العرب كنت شيخاً
طاعناً في السن . وقد مكثت قبل ذلك سنيناً عديدة رئيس كهنة ايزيس
ورئيس السحرة في مصر ومع ذلك لم اولد مصرياً ولم تظاً قدماي ارض
الليل حتى بلغت الستين

— اذن ابن ولدت يا أبت ؟

— هنا في خور . انني آخر سلالة الملوك الكهنة الذين حكموا في
خور قبل الوباء العظيم وسقوط سيف الانتقام على رأس اهلها . وقد
توارث اجدادي معرفة السر الرهيب الذي اخبرتك به وكان من عادتهم
بان يأتوا الى هذا الكهف عند ما يبلغون سن الشيخوخة وهنا يتولون
حراسة النيران المقدسة الى أن تدركهم النهاية

— بهذه الوسيلة يا ابنتي وقتت على هذا السر الذي اسره جدى لابي
واسره هذا الى . وقد دعيتي المعبودة ، وجدى لا يزال على قيد الحياة
الى مغادرة هذه البلاد الفقراء والسفر الى مصر لغرض ادركت معناه ثم
امرتني ثانية بالسفر الى بلاد العرب لكي يمهّد بتريتك الى واخيراً

دعني إلى العودة إلى خور فاتيت بصحبة فيلو . وقد وجدت حدى وإلى انتقال إلى عالم آخر ووجدت سومعة حارس للنيران خالية وعلى ذلك أقت فيلو حاكما على القبائل الوحشية التي تقطن حول اطلال حور وجئت إلى هذا المكان لأقوم بالمهمة التي قام بها اجدادي ثم - اموت فقلت بغضب

- نعم لنموت وتنساني يا ابت بعد ان وضعت على كاهلي عبئا ثقيلا .

- كلا يا مائشة لم انسك عالما باننا سنلتقي ثانية . ولعمري كنت اواقبك دائما في صلواتي وآراك في متابعك وآلامك وقد سمعتك في أحلامي تطلبين الارشاد فسمعت اليك بالجواب الذي أمرت به ثم ارسالت اليك فيلو قبل ذلك لكي يأتي بك إلى كما أمرت وها قد أتيت إلى صومعتي وما أخبرتك بكل هذه الامور الا لاني رأيت في صلاتي الآت وأت غارقة في نومك اننا لن نتكلم بعد الان معا . لقد حانت منيتي ولما لم يكن لي ولد بالحسد فقد اطلعنك أي ابنتي بالروح على السر فاذا ما صعدت ووحى فتولي يا عائشة حراسة الدار المقدسة وامكنني هنا إلى أن تدركني الشيوخة وتنتهي أيامك على الارض

فنظرت إلى الجدران الصخرية المحيطة بي وانعت إلى الرياح التي تهب بشدة في الخارج ثم سألتها باستياء قائلة
— هل قضى على بذلك ؟

- نعم يا عائشة هذا ما قضى به عليك لان هذه هي المهمة الكبرى التي وضعت على كاهل روحك والتي ستجدين بها أجنحة لتطيري إلى السماء والآن اعلمي انه ليس لحارس « للنيران » أن يدخل « النيران »

' تجل عليه أن يراقبها ليمن الا . اصفى الي . سأخبرك كيف
ثم مال نحوى وأمر الكلمات للمرية في أذنى وأرانى أشياء
معينة خفية

مهمت ورأيت خنيت رأسى ثم سألته قائلة
- وإذا دخل حارس « النيران » ، « النيران » ماذا يصيبه يا حارس
« النيران » ؟

فدب الرعب الى قلبه وأجاني قائلاً
- لا أدري يا ابنتي ولكن ستصير « النيران » في تلك الحالة حارسة
عليه ، حارسة مريبة تقضي على خادما الكاذب . لا أستطيع أن أريد
على قولى هذا شيئاً آخر لانه لم يجرأ أحد من قبل على هذا العمل ولو
أنى بعضهم استنشق جوهرها

- لقد اخبرتنى منذ ليلتين يا أبت ان هذه النيران تعطى الشباب
والجمال وعمرآ لا ينفى للذين يشربون من كأسها . فادا لم يكن قد دخلها
أحد فمن أين علمت هذا ؟

- لان هذه هي الحقيقة يا عائشة ، وفوق ذلك لم أقفل انه دخلها
أحد فقد تكون هناك آلهة أو أصنام معروفة الآن في العالم دخلت
هذه النيران اتفاقاً . هذه هي الحقيقة فصدقها أو لا تصدقها كما
تريدين ولكن لا تسأليني المزيد ولا تحاولي قبل كل شيء أن تحلي اللغز
وأنت لا تزالين تلبسين ثوب الفناء

- دعنى على الأقل انظر الى ما سيعهد الي بحراسته

- نعم لك ذلك . لقد جئت بك الى هذا المكان لهذا الغرض لاني
أعتقد انك لا تردين بعد رؤية نيران الحياة الاستحمام فيها . تناوليه
طعامك ثم تأهبى للذهاب معي

الفصل العشرون

مجيء كالكراتس

غادرنا الكهف بعد هنيهة - أنا ونوت وفيلو - يحمل كل منا مصباحاً في يده . وكان نوت يسير في الطليعة يرتدي ثوباً أسوداً يحمل مصباحه في إحدى يديه وفي الأخرى عصاً طويلة كالتي يهش بها الرماة على غنمهم في المراعى فوق الجبال . وكان في شكله هذا غريباً بروجه النحيل ولحيته البيضاء المدلاة على مباءته السوداء وعينيه الواسعتين اللامعتين من طول النظر الى الظلمة فكان أقرب الى شبح منه الى انسان . ولعمري لن أنسى مظهره وهو يبحث عن السلم الصخري الممتد الى تحت الى مسافة ثلاثمائة خطوة الى دهليز طويل يؤدي الى غرف وراءها

وكانت تلك الغرف أو الكهوف عظيمة بحيث خيل الى أننا لسنا الا غملاً يدب في أركانها الواسعة . وقد اجتازنا اثنتين منها ، يتردد صدى وقع أقدامنا في ضكونها المخيف ثم وصلنا الى دهليز آخر . وهناك نوت مخاطباً فيلو

- امكث أنت هنا وانتظر الى أن نعود لانه ليس لك أن تري ما هناك . واذا لم نعد قبل ثلاث ساعات ، وهذا محتمل لاننا ذاهبون الى مكان فيه خطر على بنى البشر ، فعد الى العالم وقل ان الالهة أخذت نوت الناسك وطائفة رئيسة الكاهنات

جالس فيلو على صخرة يذنظرنا وقد ذهبت جميع دلائل الاتهام

من بينهم ، وقد قيل ذلك على كره منه لأنه كان لا يميل إلى مثل هذه
الرحلة الخطيرة ولأنه كان قلقاً على

عاطفته بصوت خافت قائلة

- لا تخف يا فيلو لأن الساعة التي ستسقط فيها عاتشة نمره ماضية
من شجرة الحياة لا تزال بعيدة

فقال فيلو

- أرجو ذلك أي بنت الحكمة ومع ذلك كوني على حذر لأنني

لا أعرف إلى أين يقودك هذا الشيخ الذي صار شعباً

ثم نظر إلى نوت وهو يسير في النفق الذي انتهى إليه هذا الكهف
يحمل مضباجه في يده

تبع نوت أحمل مضباجه في يده لذلك ولكن لم تمض لحظة حتى لم تعد
هناك حاجة إلى المضباج لأن المكان اضاء بنور وودي . وقد مكث
نوت ينسل بخفة كالثعبان وأنا أسير في أثره إلى قلب الضوء ، إلى مكان
مملوء بدوي شديد ومظهر بديع لا أدري عنه شيئاً

دخلنا كهفاً آخر ولكنه أصغر من الكهوف الأولى ، مفروشة
بطبقة من الرمل الأبيض السام . وكان خالياً إلا من جسم لشري صغير
جاف لا أدري إن كان جسم رجل أو امرأة والظاهر إن صاحبة هذا
الجسم أو صاحبه جاء يطلب نيران الحياة منذ ألوف من السنين ذات
خوف ورهبة أو أن شعبه قدمه ذبيحة . وقد انساني جلال الموقف
أن أسأل نوت عنه على أنني بالرغم من ذلك كله شعرت بانقباض في
نفسى وتشاؤم لأن أول شيء وقعت عليه عيناى في هذا المكان الرهيب
كان جسماً مقدراً ملقى منذ أجيال عديدة بينما تدور نيران الحياة على

مقربة منه الى الابد

وكان هذا الكهف مملوءاً بنور يشبه نور الفجر يشوبه لون أحمر .
وبدوى يشبه دوى الف عربية حربية عجلاتها من حديد تسير مسرعة
الى ميدان القتال . ولم البث أن شهدت الضوء يتضاعف ويشتد نطعنه
سهام لامة هنا وهناك في حين تحول الصوت الى دوى شديد كالرعد
وخيل الى ان تلك العربات الحربية أخذت تداخما فصاح نوت
اذ ذاك قائلا

— اجنى على ركتيك يا انتي . الدار آتية والممود قادم

جنوت على ركتي فست يدي اتعافا ذاك الجسم المقدد الصغير
قتحور الى تراب في الحال ولم يبق منه شيء غير حمة من الشعر الطويل
كان شعر امرأة بلا ريب

وقعت العجوبة بعد ذلك فرأيت أمامي عموداً من البهاء اللامع
المتعدد الالوان وهو يصيح ويخور مثل الف ثور مسها الجنون . ثم
حيل الى ان هذا العمود تحول الى رجل هائل الجسم بعينين من الزمرد
كان يمدق المطر بهما الى مثل النمر . وكان له ذراعان حمراوين ، كالدّم
مدما نحوي كاه ريد أن يحدبني هما الى صدره الملتهب . نعم كان
المشهد رهيباً ولكنه كان غاية في الجمال ولعمري لم أعرف معنى الجمال
الحقيقي كلا ولا جمال الفجر أو غروب الشمس حتى وقعت عيناي على
هذا المشهد

ولما ظهر ان اله الروح هذا كان يدعو روحي من داخلي كما يدعو
الملك أحد رمايه أو السيد عبده فقد ناقت تقسى الى اطلاق عمان نفسى
لتصمها تلك النيران الى صدرها ، وامري هممت بالوقوف على قدمي

والكن نوت امسك بذراعي وخطبني بجذ قائلًا - لا تدخل
فخرت ثانية على ركبتى واخفيت وجهي على الرمال الساعمة
لا أدري كم مكثت على هذه الحال لان روح العظمة تملكنتني فلم
اكثر بالوقت فلما رفعت وجهي ثانية كانت النيران قد ذهبت وعاد
المعبود الى مقصورته ولو أن المكان بقي مضيئًا بذاك النور الوردى
سار نوت بي الى الخارج فوحدت فيا ممتقم للوجه مضطرب
الجسم فاجتزنا طريقًا مخطوات بطيئة ومشقة الى أن وصلنا الى صومعة
نوت فاسترحنا دون أن يفوه أحد منا بكلمة الى أن أخذني نوت الى
جانب الغرفة وخطبني قائلًا :

- لقد رأيت يا عائشه ما كتب عليك أن تريه . وقد تملكك
الاغراء في دالك المكان لشدة بحيث لو لم أكن هناك لخصعت له ناسية
توسلاتي وتحذيراتي فصرع عليك الآن أن تحرسي النيران في أيامك
المقيلة ولكن لا تدعى عيبك تنظران اليها بعد الآن لاني أخشو من
ضعفك في هذه المسألة بالرغم مما تظهرينه من الشجاعة في الامور
الاحرى . وسوف لا تزين هذه الديران ما دمت حيًا لاني أدعو السماء
أن تقطع خيوط حياتك أولا

وحيت رأسي ولكن لم أجبه بكلمة ولا هو طلب الي جوابًا
ماذا حدث بعد ذلك ؟ اذكر اسأ كلنا من الطعام الذي أعدناه لنا
ذاك القزم الذي لم تقم عليه عيناى بعد ذلك . وبعد ذلك أطل نوت
من باب صومته ونادان لكي ذاتي اليه وسرعين لان غروب الشمس
كان قد حان ولا بد من عبور القنطرة عند سقوط الشعاع فذهبنا اليه
فسار أمامنا يحمل مصباحه الى الصخرة المرتفعة التي كانت تترنح القنطرة

الحشبية فوقها

طوقى نوت اذ ذاك بذراعيه وباركنى ودعنى وهو واقف على
هذه آخر مقابلة لنا على الارض . نعم كان هذا اعتقاده بلا مراة لاني
رأيت الدموع تنحدر على خديه النحيلتين

طمن شمع الشمس فجاء قلب الظلمة فعبرت أنا وفيما القنطرة على
نوره وسرت فوق التنوء الصخري بقدم ثابتة وقد ذهب عني كل خوف
كاد للنور يذهب فتحولت لكي ألقى آخر نظرة على نوت فرأيت
واقفا وسط الضوء كأنما يرتدى ثوبا من نار وقد وضع ذراعيه على
صدره ورفع عينيه الى السماء كما لو كان فارقا في صلاة عميقة ثم تلاشى
النور بعد ذلك فجاء مثل مصباح اطفى وحلت الظلمة الخالكة

وصلنا الى السهل سالمين ، وفي أثناء الليل حملنا الجمالون في النقالات
الى خور . وكانت تقالتي تمايل والجمالون يرتلون أغنية هادئة تبعث
النوم ولكن النعاس ضل السبيل الى أجفاني فلم استطع النوم أنا التي
كانت نفسي تتندد بنيران اليقظة

أواه ما هذه الاعجوبة التي رأيته يا ترى ؟ انها منبع الحياة نفسها
المتقدة في قلب الارض بعيداً عن أعين البشر . ولكن اذا كان الامر
كذلك فلماذا يتكلم عنها نوت كما لو كانت منبعاً للموت ؟ ولماذا ينهاني
عن أن أذوق كأسها ؟ ربما لان الموت لا الحياة يقطن تلك النيران كما
يدل على ذلك جسم تلك المرأة التي تحولت الى تراب عند ما مسها
يدي اتفاقاً

لا أدري ولكني أيقنت اني صرت من الان فصاعداً مخطوبة
لاله النيران وهذا وانه لا بد أن أشعر يوماً ما بقبلة زواجه المتهمة

لما وصلنا الى خور عند طلوع الشمس أشرت الى فيلو أن يلزم
 الصمت فلا يفوه بكلمة واحدة مما رأى أو سمع وبعد ذلك شرعت في
 القيام بأعمال اليرمية لبناء شعب جديد وإحياء دين ميت ولكن دعنا
 من ذكر هذه المهمة . لماذا اذكرها بعد أن شأنت يد الفسار أن ابني
 أعمالي من الماء او الزمان لا من الصخر والاحجار ؟ أو اه ، لماذا تسخر
 مني بهذه الخيال أيها القدر ؟ أو اه ، لماذا أيها الحب القهار تستخذمني
 هكذا ؟ أو اه ، لماذا تصرخ لي وصرح عبادة ايزيس وتحوّلها الى تواب ؟
 متى جاء كالكراسي بعد ذلك يا ترى ؟ أظنهام مدة قصيرة ولو ان
 الزمن ينفد أهميته وطوله بالنسبة لغيري ، ما من شيء في الدنيا الذي عام
 كنت أرسات فيلو الى الشاطئ استمتع بالبحر والسموات والارض
 بالعالم لانني رأيت اننا نستطيع أن نجني من هذا المكاذا من خيرات
 كثيرة نفتح المجال للتجارة مع القبائل التي تنهار على مقربة من الشاطئ
 (فيلو) ذات ليلة فامرت بدخوله في الخيال فقص علي جميع ما فعل
 أو عجز عن فعله ففكرته وأعطيته الإشارة لكي ينصرف . على انه
 وددت هدية ثم قال

- اعلمي يا بنت ايزيس انني لم أعد مفرّد
- هذا ما اعلمه يا فيلو لانه كان برفقتك ناس كثيرون
- اعلمي يا بنت ايزيس اني أتيت معي بمن لم تكن مهملة لاهم
- فاجبته بدوي اكثر اكرامات قائلة

- انهم رسل بلا ريب من القبائل المجاورة للشاطئ .
- كلا بل هم قوم رحل تنقلوا كثيراً بين تلك القبائل وقد وجدتهم
في سفينة حطمتها الامواج في حالة يرثى لها . انهم قوم من مصر
- من مصر ! كم عددكم يا فيلو ؟

- آسعة يا سيدتي ولو ان معظمهم من الخدم
- حسن يا فيلو ، من دوعي السرور ان انكلم مع قوم غرباء من
مصر يا نسوتي في وحشتي اذ لا ريب في انهم يحملون معهم انباء النيل
اكرم مشرايم يا فيلو واعطهم كل ما يحتاجون اليه وفي الغد قدمهم الي
بعد انتهاء حفلة الصباح . لقد فات الوقت الليلة ولا بد انهم يشعرون
بتعب .

تردد فيلو مرة أخرى ولكنه حنى رأسه بعد ذلك وأنصرف
وتركني في حيرتي لانني لاحظت في أحواله ما أثار دهشتي ، على انني
لما كنت قد أصدرت أوامري فأنني لا أستطيع الرجوع عنها
بقيت في حيرتي هذه فلما اضطجعت للرقاد نشب الرعب أظفاره
في قلبي ، رعب لا أدري له كنهها ولا أعرف له سبباً وشعرت بأن الشر
يخلق فوق رأسي ويضئني بجناحيه للسوداوين ، وانني سأرى شيئاً
أو شخصاً ما ، لا أريد رؤيته وانني وقت في شرك مجهول فصرت
طاجزة لا حول لي ولا قوة مثل فريسة طبقت عليها الشباك من كل
ناحية . وهي تكافح وتناضل عبثاً لاجل الخلاص . وفي الواقع طالما
يلقى الخطر المحقق بنا ضمه إليارد على قلوبنا البشرية فتترجف عند مس
ما نشعر به ولكنها لا تدري ما هو

خطر يبالي انني على وشك الموت ، وان يد الموت الثلجية قبضت

على قلبي ، وان هناك سفاحا في زوايا الغرفة المظلمة التي أنام فيها قد استل خنجره ليدفنه في صدري وهو أمر كثير الاحتمال في بلاد موحشة كهذه بين شعب مفترس من آكلي لحم البشر ؛ وضعت قدمي على أعناقهم . وأخيراً شعرت بأن أرواح الملوك الذين حكموا هذه البلاد من قبلي أخذت تضايقني طالبة أن أرد إليهم ملكهم المقتصب

ذكرت بعد ذلك تينس ، وقد علم في النهاية ان يدي هي التي دفعت سيف الانتقام الذي غاص في ظهره ، ثم ذكرت أوخوس الذي لا بد أن يكون قد زعم اني أنا التي دبرت له الكاس واحرقت رجاله . نعم ؛ تمجست كل هذه الذكريات وحامت حولى مثل سحب قاتمة تلبدت في سماء حياتي وتهددت شمسها بالكسوف

أخيراً ذكرت تلك القصة التي رواها فيلو عن الغرباء الذين تحطمت بهم سفينتهم وانقذهم من الهلاك ثم جاء بهم الى هنا فقلت في نفسي من هؤلاء الغرباء يا تري ؟ ربما كانوا قوما من السفاحين تنكروا بلباس المفاقة والموز ، قوما أرادوا اطلاق روحي باسنة خناجرهم لكي لا تراقبهم هنا على الارض

خطرت ببالي كل هذه الافكار ولكن يا للعجب لم يحل بخاطري ان هؤلاء الغرباء قد يكونون كالكراتس الاغريقى وأموارتس الاميرة المصرية عدوتي ، ولعمري كان في هذا اسطع برهانا على صمي عيوننا الجسدية .

أخيراً غلب علي النعاس فنمت ولكن كان نومي مضطرباً ولم استيقظ الا عند ما ملأت أشعة الشمس المرتفعة أفنية الهيكل . فقامت ولما كان اليوم يوم عيد ارتديت ثياب رئيسة كاهنات ايزيس ونحلت

هو امرئى المقدسة والرموز القدالة على منصبى

ولما فرغت من ارتداء ثيابى الفاخرة جلست على كرسي الرئاسة
في فناء الهيكل الداخلى أمام تمثال « الحقيقة » العجيب حيث قنا
بالطقوس الدينية بجلال وهيبه كما كنا نفعل في مصر

أخيراً انتهت الحفلة وباركت المتعبدين فانصرفوا عدا أيراد فلانل
ظلموا هنا وهناك لمواصلة الصلاة، ثم هممت بالانصراف كنتك إذ بانى
فيلى وقال بخضوع وبسرعة مثل من يريد التخلص من مهمة لا يريد
ان الغراء الدين حدنى عنهم أمس ينتظرون الامر بالثول بين يدي
قلت

— دهمم يذخلوا

فبت بهذه الكلمة أوأنا لا أدري على من ستقع عيناى وقلت
ربما كانوا بعض أشقياء فروا من وجه العدالة الى هذه الارض البعيدة ،
أو تجاراً دفعتم العواصف جنوباً ، أو نقرأ من البحارة المساكين نجوا
من سقينة فرقت

جاؤا ، وكانوا زمرة قليلة ، وهم يلتقون حول أعمدة الهيكل
ويسرون بين ظلاله فلاحظت ببلادة عند خروجهم من بين ظلال الأعمدة
ان الاثنين الذين يسيران في الطليعة تلوح عليهما علامات النبل على
قبض الآخرين الذين كانوا يتبعونهما . وبعد ذلك حجبتهم الظلال
مرة أخرى ولكنهم لم يلبثوا أن خرجوا ثانية الى النور أمامى وأنا
جالسة على مقعدى أما التمثال ثم وقفوا تكسوم أشعة الشمس

نظرت الى الشخصين الاما، بين فرأيت انهما رجل وامرأة : رجل
معتدل اقوام وامرأة جميلة فرفعت إرأى ونظرت الى وجهيهما قلت

الى الوراء في الحال وقد تملكنتي الذهب والذهب والذهب !
هل أنا في حلم يا ترى ؟ أو هل سحرت عيني روح ساحرة ، أو
هل أرى حقيقة كالكراس الجندي الكاهن الاغريقي ، وأمونارتس
قبة قرعون مصر ؟

حجبت عيني بيدي ، ومن خلال أصابعي أخذت أطيل النظر
فيهما والفرس في وجهيهما . أواه . كيف استطيع ان اخفي معرفتهما ؟
ها هو كالكراس أممي ، فتاناً في جماله كما كان ، كالكراس شبه المعبود ،
والى جانبه أمونارتس الأميرة المليحة التي لم تحس ملاحظتها يد الزمن
سقطت نفسها منه بما تعلمته من أبيها من السحر
لثمت الصمت هنيهة أخذت استجمع في خلاها قوتي واكبس جراح
عواطفى المتأثرة وأخيراً تكلمت بمرود متظاهرة بعدم الاكتراث قائلة
- من أين جئنا أيها النبيلان ؟ ما اسمكما ولماذا تطلبان ضيافة ملكة
خور بين الاطلال والحرائب ؟

كانت أمونارتس الجريئة ، لا كالكراس ، هي التي أجابني قائلة
- اننا سائحان آتينا الكاهنة من طبقة لاهي بالرفيعة ولا بالوضيعة ،
أو بالحرى نحن من تجار بلاد الشمال ارتطمت سفينتيما بالصخور فتكبدنا
متاعب وأهوال عديدة الى أن انقذنا خادمك هذا وجاء بنا الى هنا
ثم أشارت الى فيلو وهو واقف على مقربة منهم وعلى ثغره ابتسامة
بليدة واستطردت في حديثها فقالت |

- انما ننتمي الى الفينيقيين واممي (ثم ذكرت اسماً نسيته) ولما كنا
نشكو القحط والعوز بعد أن نازعنا علينا جئنا نطلب اليك المعونة
الى أن يتسم لنا الدهر ثانية بعد أن عبس في وجهنا

- لك ما تريدن أيتها السيدة ولكن اخبرني ما علاقة أحدكما بالآخر . هل أنتما أخ وأخت على ما أعتقد ؟

- نعم أيتها الكاهنة لقد رحمت حقاً . انما شقيقان كما يستدل على ذلك من اسمنا

هذا قول غريب أيتها السيدة اذ كيف يلد أموك فتاة عمراء من نلاء بلاد النيل ورجلا جميلاً يشبه أبوللو الاغريقي شكلاً وظلمة ؟ ثم كيف تحبك أخت تاجر فينيقي شعرها بتاج ذهبي هو رمز الملكية المصرية ؟

ثم أشرت الى اللثمان الذهبي فوق جبينها
فقال أمو نارتس دون حياء

- للدم حوادث غريبة مذهشة أيتها الكاهنة ، فاحياناً يولد للطفل شقيقاً لاحد أحماده وأخرى يولد شقيقاً لجذ آخر فتجدين طفلاً أصغر وآخر جميلاً . أما هذا التاج فقد ابتعته من تاجر عربي دون أن ادري شيئاً عن أصله أو أهميته

أخذت أمو نارتس تهذي بمثل هذا الكلام الى أن اسكتها كالكراتس وهو يتمتم قائلاً

- كسي

ثم خاطبني قائلاً

- لا تسكرني أيتها الملكة بكلمات هذه السيدة فقد اضطرتنا الظروف في المدة الاخيرة الى ذكر روايات غريبة حسب ما تقتضيه الساعة التي نحن فيها . والان اعلمي يا سيدتي اننا لسنا من أهل فينيقيا وانما من بيت واحد ولكننا ننتمي الى الاغريق والمصريين بحسب

الدم ، ولسنا في علاقتنا أختا بل رجلا وامرأة
لم نكد هذه الكلمات تطرق باب مسامى حتى وقعت دقات قلبي ،
انا التي كنت ارجو الى تلك الساعة أن تفرق بينهما ايزيس وحرمة
للمهود التي قطعت ؛ ومع ذلك أحسته يهدوء قائلة
- حقا ما تقول أيها الرحالة ؛ اذن اخبرني بماذا تديبان ومن الذي
عقد لكما عقد الزواج ؛ هل وضع كاهن « زوس » يدا أحدكما في يد
لآخر ام وقفتما جنسا الى حب أمام مذبح هاتور ؟
أخذ كالكراتس يبحث عنّا عن الجواب وبما كان في حيرته هذه
ضحكت وقلت

- اظن أيها الذبيلان انكما لم تتزوجا قط وانكما لستما زوجين بل
هاشقا وهاشقة نالمتما حسب ناموس الطبيعة
اطرق كالكراتس برأسه وبدأت علامات القلق في عيني أمونارتس
بالرغم من شجاعتهما المعروفة وقدامها
لم اطق للسكوت بعد ذلك فقلت
- أي كالكراتس الاغريقي يا من كنت فيما مضى صابغا في جيش
فرعون وكاهنا لايزيس وأنت أي أمونارتس ابنة نخت - نبت وأميرة
مصر ، لماذا تهديان بمثل هذه الاقوال على أمل أن يخذلنا من لا يستطيع
أحد أن يخذلها ؛ لا ريب في انكما اغريتما فيلو هذا بالمال لكي يكتم
الحقيقة كما اغريتما من قبل لكي يخفي سيدة معينة في سفينته وينزلكما
الى البحر معا في احدى الجرار

احمر وجه كالكراتس وقال متلحما
- لذا كان الامر كذلك فقد خان هذا الرجل عهدنا وافشي سرنا

- كلا . لم يفش سر كما لانه حريص على أسرار من يحز لون له المظلمة
ليس كذلك أى فيلو خادمى ؟

انتظرت الجواب ولكن لم اسمع شيئاً لان فيلو كان قد ذهب
فاستطردت فى حديثه قائلة

- كلا . لم يفش فيلو سر كما ولم يكن ثمة داع لذلك . و لانا اخبرنى
أيتها الاميرة أمونارتس من أين حثت بهذا الخاتم الذى أراه فى أصبعك ؟
فاجابتنى قائلة

- هدم هدية سبدي لي

- اذن اخبرنى يا الكرائس من أين سمعت بهذا الخاتم وهل نقش

عليه من الداخل باللغة المصرية علامات معناها " ابن الشمس الملكى " ؟

- ان هذه الاشارات منقوشة عليه أيتها الملكة . وقد البستنى

هذا الخاتم كاهنة قداسة أنقذت حياتها فى معركة أصيبت فيها بجروح

شفيت منها بفضل هذا الطلسم . وقد مات فيما بعد ان فى هذا الخاتم

مر الشفاء لانه مصنوع على شكل الخاتم الذى صنعه الام ابوس

ووضعت كهدية حبا فى يده أوزوريس المات قبل أن تمتد فيه روحه

ثانية ، وربما هو الخاتم بعينه لدى زك أوزوريس على الأرض عند

صعد الى السماء . لا ادرى

أخذ كال الكرائس يهتر فى نطق هذه الكلمات كما تتمرد ابة منهوكة

القوى تحمل عبث ثقيل وتسير فى طريق وعرة الى أن مللت حديثه
فقاطعت قائلة

- لهذا اعطيت يا الكرائس هذا الطلسم العتيق الى المرأة التى تهواها

او التى تهواك راجياً أن توثق أسرار عري قرانك كما الدنس . ويحك

أيها الكاهن الساقط المنبوذ كيف تجرأت على ارتكاب هذا العمل المفقوت
كيف تضع في أصبع عشيقتك خاتم إيزيس الذي أعطته أذاك كاهنتها
لتنسلك من مخالب الموت ؟

ولكن هذا هو الألم بحيث لم يعد ظل المثال خافي مجنسى ثم
نظرت عن وجهي ونظرت الي عينيه فقال

.. هذا ما خطر ببالى ولو انه من كان يحلم أن بين هذه الاطلال
والخرائب ... انها كاهنة إيزيس ، انها ابنة إيزيس ، بنت الحكمة دون
سواها فقد عرفت صوتها بالرغم مما تظاهرت به

ثم خر على ركبتيه وسجد حتى مس جبينه ارض المكان وأخذ
يتسبح قائلاً

- أقتلنى ايها المسكة وانتهى من أمرى وانفى من هذه السيدة
وأرسلها الى بلادها . الذنب ذنبى لاذنبها لانها لم تكن كاهنة

احدقت أمونارس للنظر الى حينها الجريئين ثم صاحبت قائلة
- لا تصدق الى هذا الحد ياسيدى لان هذا يكاد يكون مستحيلاً

في أيام جيلنا ابني رأيت تلك الكاهنة التى تسمى « إيزيس على الارض »
في الايام الماضية لاسيما في تلك المادبة التى املأت فيها القمام عن وجهها
لترى نفس ملك صيدا ملاحتها . ولكن تلك الساحرة كانت امرأة جميلة
جداً وعلى ذلك لا اصدق ان هذه الكاهنة بين الاطلال والخرائب هي
تلك الكاهنة نفسها لانه لا يستطيع احد أن يقول عن هذه المرأة انها
جميلة . انظر انها عجوز متجعدة الوجه والعنق

« أن الساحرة التى أذكرها كانت ذات ثغر وردى اما هذه المرأة
فهاها شفتان نحيلتان ممتعتان وكانت أيضاً ذات عينين واسعتين فتأتين

مخلاف عيني هذه السيدة فانهما صغيرتان لالون لهما تقريبا، تحتها خطوط
سوداء تدل على الشيخوخة . كلا ياسيدي، نعم أن الوقت يحدث تغييرات
قريبة فيمن تجاوزوا عتوان الشباب ولكن هذه السيدة التي تحتني
هجرها الاشيب تحت فلذسوتها لا يمكن أن تكون هي نفس الكاهنة
القنانة التي رأيناها مرة في قصر فرعون والتي كانت على ما اذكر تنظر
اليك كثيراً

اصفيت الى هذا السم الزغاف الذي كان يتدفق من قلب وضع
مغمم بالغيرة ثم تبسمت ومع ذلك أقول الحق - لاني لا ادون هنا غير
الحقائق - أن بعض هذه السهام المسمومة اصاب المرمرى . فقد كنت
أهرف جيداً أن الرائع الذي كنت أتمتع به لم يعد لي كله وأن مراليالي
وكر العشى وحموم الحياة وتحول قلبي عن الامور الدنيوية ^{الفانية} الى
الامور المقدسة فوق ما انجمه من اعباء الحكم والحكمة والانتقام
التي القتها يد القدر على عاتقي - كل ذلك قد اذبل زهرة شبابي واطفاً
فور تلك الملاحظة التي كانت لها الامر والمهي والتي اذهلت قلوب العالم
وفوق ذلك كانت امو فارتس لا تزال طفلة عند ما كنت شابة نامية الجسم
وعلى ذلك تعوقني بجزرة الشباب هذه التي منحتها اياها الطبيعة

تبسمت مع ذلك وبيننا كانت الابتسامة لا تزال مرتسمة على ثغري
خطرت ببالي فكرة بذرت في قاي بذرة قضت يد القدر أن تنمو وتزهر
وتحمل في ساعة لم تولد بعد ثمارها المريعة

اواه . اذا كنت قد اخطأت في حق السماء وعصيت اوامر القديسة
نوت مرشدي وسيدي فلنذكر الالهة المحمية أن سوط لسان هذه المرأة
المثول هو الذي دفعني الى العمل

خاطبت كالكراتس بصوت رفيق قائلة

— قم يا كالكراتس . أن الكلمات التي معتمها في حق التي كانت رئيسة لك لا تروق في مسامعك ولا أريد أن أجيب عليها . لا انكر أن في تلك الكلمات شيئاً من الحقيقة ومن دواعي فخري أن اكون قد ضحيت ملاحتي للملكة السماء التي اعبدها وليست هذه التضحية الا واحدة من شيء كثير . ومع ذلك اتوسل اليك يا كالكراتس أن تمسك لسان هذه السيدة فلا تكيل للمعبودة عبارات الالتهام والسخرية كما كالتها لي انا كاهنتها وارجو أن تذكرها بأنها ارتدت ثياب ايزيس مرة وعبدت في هيكلها والتجأت اليه ثم ذكرها أن المعبودة تراقب كل ما يجري من السماء بالرغم من احتراق هيكلها في مصر وانها تستطيع ان تضرب اذا شاءت . الآن اذهب واسترح يا كالكراتس وخذ عشيقتك معطوسهتكلم مما فيها بعد لانني لا اريد أن ارجم بمثل هذه الكلمات التي تقذفها للنساء في الاسواق الى منافساتهن

الفصل الحادي والعشرون

الحقيقة

طلب كالكرانس مقابلي في اليوم التالي فلما علمت انه منفرد بآلاته في غرفتي الخصوصية وامرته بالجلوس فأطاع واذا ذلك أهدت الرقيب عيني وقد سقطت اشعة الشمس المنبمئة من النافذة على شمرة الذهبى ودرمه اللامعة التي وضعتمها السيوف والرماح فكان في زيه هذا كمالك الرجال

اخيراً قال كالكرانس

- أن السيدة امونارتس مريضة من عناء السفر الطويل وأظن أنها أصيبت بذلك المرض العادى الذى يكثر بين السكان على الشاطئ لان وجهها متوردد وبديها ساخناتان وعلى ذلك لم تستطع الحضور اليك ومع ذلك كلفتني أن اشكرك على ضيافتهك وأن أسألك العننج والمغفرة عن الكلمات القاسية التي فاهت بها أمس لان هذه الكلمات لم تخرج من قلبها بل من دمها المحموم .

- حسن . اني اعرف هذه الحجي ولو انني في مأمن منها وسأردك اليها الدواء ومعها امرأة متدربة لتقوم بخدمتها . قل لها لا تخف لانه ليس بالمرض الخطر . الان نكرم الى ضيفي كالكرانس بذكر قعتك اذ لديك على ما اعتقد شيء كثير تقصه على مسامعي منذ افترقنا في هيكل منف ، فقد كانت مهمتك لي ذاك الوقت مرافقة نوت لانك رأيت من مصلحتك أن تغادر المدينة لاسباب تعرفها وقد كان في عزمك على ما اعتقد أن

لذهب منفرداً ، لا برفقة هذه الاميرة التي ترافقك الان

فاجابني بحزن قائلاً

— نعم هذه هي الحقيقة يا سيدتي ولم اعلم أن الاميرة التي اشرت

اليها على ظهر السفينة «هابي» الا بعد أن هربنا من النيل وخرجنا في

بحر من البحر فراراً من الفرس

— لقد فهمت يا كالكرا تاس ، ولا يسعني الانكار ان يد القدر

اظهرت قسوى او بالحري اظهرت رحمة بك عند ما شاءت ان تخفني

تلك السيدة خطأ في السفينة التي ابجرت في النيل شمالاً بدلاً من ان

تكون السفينة التي اقلت والدها نجت — نبت الى طيبة وبلاد النوبة

— يا سيدتي متى يا بنت الحكمة ، وستخبرك الاميرة امونارتس

نفسها انها كانت تعرف جيداً السفينة التي ركبها في حين كنت اعتقد

اعتقاداً وطيداً اني ودعتها الى الابد . نعم نبذت امونارتس الامل

بمرش ايها — وبكل شيء آخر واستهدفت لكل خطر وركبت السفينة

« هابي » بعد ان احتالت على امرأة اخرى البسها ثيابها وازلتها

جاشية ايها نجت — نبت

— ان هذا عمل بنطوى على الجرأة ولمعري أحب الشجاعة

يا كالكرا تاس ، ومع ذلك ماذا كان غرضها ؟

— هل هذا سؤال تقينه على يا سيدتي مع انك تعرفين جيداً ان

المرأة الكبيرة للقلب لا تنجم عن شيء في سبيل الحب ؟

— سواء كان لي ان التي هذا السؤال اولا فقد حصلت على الجواب

يا كالكرا تاس . يجدر بك وايم الحق ان تحب وتقبل من نبذت كل شيء

تتهوز بما تظنه أعظم من كل شيء ولو تطاب ذلك عارها والانضاء على روحك

الذين يغرون الكهنة والكاهنات ويحولونهم عن الطريق السوي
- نعم يا كاكرا تاس اعرف أن مثل هؤلاء يموتون بالنار ويتضورون
جوعاً أو يهلكون في سجن ضيق لا منفذ فيه ومع ذلك سألت
سبيل الجمال لانك لم تقدم صلواتك الى نوت الذي لا يستطيع وحده
أن يمنحك الصنع والفقران اذ من يدري ماذا يكون جوابه
فسألى بلمفة قائلا

- هل سبق السيف العزل أن اسكل ذنب صنمنا وغفرانا فلماذا
لا يكون لذني ؟ ولكن من يمنح هذا الغفران ؟ لا ادري اين البحث عن
نوت ، اذا كان على قيد الحياة ؟

- نعم اسكل ذنب مغفرة كاكرا تاس ولكن ذلك لا يكون الا
بثمن ، فقبل كل شيء يجب أن يقدم ذاك الذنب قربانا على المذبح
لان الصنع لا يكون الا للذنوب الميتة اما الذنوب الحية فلا صفع لها
ولا غفران وانما هناك ندم فوق ندم . وفيما عدا ذلك لا يزال نوت على
قيد الحياة وهو يعيش على مقربة من هذا المكان فهل تريد ان تبسط
له فضيتك وتسمع حكمه ؟

فاجابني بتراخ قائلا

- لا أذكرى . اصنني الى اى بنت الحكمة . اننى في موقف غريب
لانا اهري امونار تاس بجسمي ومرتب بها ولكن الامر ليس كذلك فيما
يتعلق بروحي ، فروحانا بعيدتان جداً على ما اعتقد . اواه ، اشهدى
باسيدتى ان قلبي يتطلع الى امور عالية وكم اود أن اسبح الى بحار بعيدة
لا يزورها انسان ولكن هناك دائماً تلك الجبال الجسدية تمنعني دائماً
الى الشاطئ . اما امونار تاس فانها ترى غير هذا الرأي فهي تحب لكي

تسبح في ميثاء العالم الجميل أو تتجول على شواطئه الرملية . وهي تقول دائماً : « دعنا من السماء ، هنا الأرض للسميدة تحت أقدامنا » وحولنا خير مياه الإحراح والسعادة وأنا جيئة وأحبك . وإذا كانت هناك آلهة وهذه الآلهة منتقمة فإن سامتها على الأقل لم تكن بعد ؛ حسنا نحن هذه ملك لنا فليرشف كأس الهناء التي تقدمها لنا فإذا شربنا كل ما فيها من خمر ثم تكسرت فستبقى ذكرياتها معنا على الأقل . ماهذه الآلهة التي نسمي وراءها بهذا الجنون؟ وماذا تعطيه للإنسان غير الموت والتموز والأمراض والاحزان ثم اذارات الويل لمن يعصى لها أمراً ؟ هل هناك آلهة أخرى غير التي صنعها الإنسان مدفوعاً بخوفه ورعيه؟ الإنسان الذي لا يقنع بنفاد الطبيعة فيضيف إليه السموم القتالة » - هذه حججها التي تعزبها رأيها يا سيدتي.

— اخبرني يا كالكرانس هل ولد لكما أطفال

— نعم يا سيدتي ولد لنا طفل جميل ولكنه مات من المتاعب التي جففت لبن أمه

— وهل لما نظرت أمونا ترس الي طفليها وهو ميت ظلت تحتاجك على هذه الحال قائلة ان ليس هناك آلهة وأنه لا أمل للإنسان ؟

— كلا . انها لعنت الآلهة وكيف يلعن الإنسان ما لا يعتقد بوجوده ؟ واذا كر أيضاً انها بكث وتوسات الى تلك الآلهة أن تعيده اليها وقلبه الصغير لا يزال يخفق . على انها مرغان ما نسيها وقدت ذبيحة الى « روحها » المألوفة وطلبت اليها أن تنبأها طائلاً آخر ، وقد اخبرتنى ان توسلاتها هذه في دور التنفيذ

— هل تستخدم أموناراس السحر مثل أبيها
— نعم يا سيدتي . والظاهر انها لم تستخدمه عبثاً ولو انني لا اعلم
ولا ريد أن أعلم شيئاً من استخدام تلك الارواح الخبيثة . أظن انها
ورثت هذه العلوم عن أبيها الذي علمها اياها : وهي طفلة صغيرة فشببت
عليها . وعلى كل حال اعرف انما كلنا وقعنا في مشكلة أو خطر أثناء
رحلاتنا الطويلة كانت تسدي تلك الروح ثقتي تستخدمها فتتفرج كربتنا
ويستقيم شريقنا

— كما ستقام طريق ضللك من هذا العالم الى العالم الآخر يا كالكراس
حسن . لقد تسكعنا كثيراً ووصلنا الى مسألة خير الالهة الحقيقة نفسها .
والآن حربي هل تريد ريرة بوت وتقف على رأيه في كل هذه المسائل ؟
أظن انه الوحيد الذي يستطيع أن يرشدك ومع ذلك افعل ما تشاء
اضربي كالكراس ملياً ثم رفع رأسه وجابى قائلاً

— نعم ريد . سذهب بعد لال أموناراس من مرضها
— ان فوت شيخ هرم رقدت أحـ أموناراس في شغلها فمن اصالة
الرأي أن نذهب في الحـ بالكالكراس

— كلا يا سيدتي . لا يستطيع . نـ موناراس غريبة التصورات
ولا يستطيع أن تركم . وحده . نـ نزعهم انهم سيدسون لها للمسم
ولعمري نزعهم انها ذفته وملا

— ادن قل لها أن تقدم ذئب غالية الى تلك الروح الخبيثة وأن
تدوس عليها لكي تحميتها . في وسعي بلا مرء أن اقسم بأن لا يمسيها
أذى مددته في حور . اللهم لا على يد الالهة التي تنكرها ، اني
المؤمنتي يا كالكراس

حتى رأسه وم بالإنصراف ولكنه انثني راجعاً بعد أن سار
خطوة أو خطوتين ثم قال

— الاله . الالهة التي اعتقد وتمنقدين انها اله واحد — ايزيس
ملكة السماء . انوسل اليك أن تخبرني ما هي ايزيس ؟

فكرت هنيهة قبل أن أجيبه على هذا السؤال العويص الذي لم يحاول
عن قبل حله في كلمات وأخيراً قلت

— ان الناس في الشمال والحبوب والشرق والغرب يعبدون هذا
الاله أو ذلك ومع ذلك هل رأيت من بين جيوشهم الجرارة رجالاً رأى
الاله اللهم الا في حلم أو غيبوبة ، أو هل اذ حاول أن يصوره أمام
هيزبه ، يستطيع أن يفعل أكثر من أن ينحت صورة من الحجارة
أو الخشب ؟

ثم أشرت إلى تمثال الحقيقة خافي وقلت

— انظر . هذه هي ايزيس . انها رمز جميل بحجة الوجه . انها تقطن
داخل كل روح ومع ذلك لا تقطن روحين بشكل واحد . انها غير
منظورة لا تستقر في مكان ومع ذلك تسمع الدعوات . وليس عرشها
في السماء بل في كل مخلوق حي . وسنراها يوماً ما ولا نعرفها ومع
ذلك ستعرفها هي . هذه هي ايزيس التي لا شكل لها ولكنها في كل
شكل ، المنة ولكنها حية في كل حي ، التي تولدت في عقل كاهن
مفتون ولكن هي الحقير ، اوحيدة العظيمة

— اذ كانت هذه هي ايزيس فما هي الالهة الاخرى اذن ؟

— بها كلها ايزيس وايزيس فها كلها . فالالهة العديدة التي يعبدها
للناس في مختلف اعالم ايمت لها واحداً متعدد الشكل أو بالحرى

هى الهان : اله للشر واله الخير : هورس وتيقون اللذان يتقاتلان
لامتلاك أرواح المخلوقات التى تصيفها تلك القوة المقدسة الذير المنظورة
لتنى نحكم متفردة بجلال مروع وتطل من مسكنها المجهول على الالهة
والناس الذين هم من صنع يديها ، وعلى الموالم السابحة في الفضاء وعلى
المسافات الشاسعة بينها . كانت هذه هى الحال في البداية وستظل
كذلك الى الابد . هذا ما تعلمته يا كالكراتس عن نوث الحكيم
والان الى الملتقى

فنظر الى وتتم قائلًا

— أو اه . يا ابنة ايزيس . أو اه يا ننت الحكمة

وكانت علامات الحزن تتجلى في عينيه وصوته فقلت في نفسي انه عاجز
يهانى ويخشى ولكن كيف يستطيع أن يحب من يخافها لأن الخوف
والخوف صدان لا يجتمعان ؟ وبمى لماذا حدثته عن تلك المسائل الروحية
للعالية التى لا يستطيع أن يدركها أو يقيم لها وزناً ؟ ربما كان السبب
اننى وجدت نفسى مفردة وانه ليس لدى شئ يستطيع ان اسكب فيه
حكمتى فلم أجد وطاء من الذهب أو المرمر فسكبتها في وطاء من الخزف
بجدر بى وأيم الحق أن أتعلم درساً من تلك الاميرة المصرية التى
عرفت جيداً تسوس رحلا مثله ، وقف كئيباً حزيناً ينظر الى الطريق
المنحدر الوعر المملوء بالاشواك والخفر ، المحفوف بالاكام الخفيفة التى
لا يمكن العودة من هاوياتها ، الطريق الذى تتوق قدماء الى وطنه
ولكنهما لا يجران على السير فيه لانهما فى حاجة الى مرشد

لقد قادتة أمونارتس فى طريق آخر ، طريق الزخات البشرية وأمرته
أن يكف عن النظر الى السماء وأن يجدل أكايل الزهر لتحل بهاجبينه

وجيئها . ثم تحذره عن أعمالها اليومية وعن أفراح الأمن وما في الغد
من آمال ووعود وفي خلال ذلك يجدل جبال سحرها الذي تعلته من
أنيبها على أمل أن تقيدة بها إلى الأبد ، نعم أوقعت تلك الاميرة في
جبالها كل نوع القباية في نسج المنكبوت وأخذت تشدد عليه القيد
فقطبها إلى أن رقد في النهاية ينظر إليها بلا حراك مثل مومياء
مدرجة في أكفانها

خطرت ببالي مثل هذه الافكار وقد لبستها ثوباً جميلاً ومع ذلك
لا امكر ان العوامل التي دفعت هذه الافكار الى نفسي كانت
الاسباب ولولدها واعني بها عوامل الفيرة التي تشعريها امرأة نحو أخرى
ولعمري علمت هذه الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها بعد الآن والتي
لا استطيع أن انجاهلها أو أغض النظر عنها لانني شعرت بها تمامينما
كان كالكراس يقص على روايته . نعم أهوى هذا الرجل . وأحبه منذ
وقفت عليه عيناي لأول مرة هناك بعيداً في فيلي أو بالحري منذ
خضعت لعوامل الطبيعة وقبلته في شفتيه

أواه . لقد سحقت هذه الحقيقة سحقتاً ودفتها في اعماق قلبي
بولكها قامت الآن وتمثلت أمامي مثل شبح قام من القبر وأخافني
بصنيه المروعتين

لقد وقعت في شرك غرام هذا الرجل وعشقتة ولا مفر من حبه
دائماً أما هو فانه يخافني ومع ذلك يجاني كما يجل روحا ظهرت له ولكه
لا يهواني لانني فوقه بمراحل

نعم دب في قلبي عقارب الفيرة منها اذا امكن أن يغار الكبير من
الصغير . لانه اذا كانت الشقة واسعة بيننا فقد كنا مع ذلك امرأتين

تطمع كلنا بما في رجل واحد . ولم تكن روحي تشعر بغيرة لاني كنت
واقعة بان الغلبة ستكون لها في النهاية لمناعتها وعدم تأثرها بسهام
التغييرات الجسدية ومع ذلك شعر حسدى بالغيرة فقد اخبرني ان
امونارتس ولدت له طفلا وانها ترجو أن تلد له آخر وأنا أيضاً أتوق الى
أن اكون أم ولده اذ ليس صدقا ان هناك ناموساً لا يتغير وهو ان
للرجل يحب المرأة لذاتها وان المرأة لا تحب للرجل في الغالب الا لان
قد يصير أباً لطفلهما ؟

هكذا . هكذا . دعني افكر . لقد حبيت هذا الرجل وأردت
أن اتخذه لنفسى وان ارفعه حتى يصير معى في مستوي واحد اذا
كان ذلك مستطاعا كما أردت أن أرشده بنور كوكبي . ولكن كيف
السبيل الى ذلك ؟

لقد زعمت تلك المرأة في حماقتها انى محبتها أو انى أريد ذلك .
نعم انها تجهل عائشة فزعمت انى احذو حذو الخصى الفارسي فادس
لها السم وانخلص من منافسة لي . ولكن كلا ان يكون ذلك . اذا لم
استطع أن أفوز يقوى في معركة خالية من اللغدر والخيانة اذن فلا يمكن
نصيبي ما استحق من الخذلان والعشل . واذا كانت روحي في قبضة
يدي بحيث استطيع ان اقضي عليها اذا شئت فان تلك المشيئة لن
تتكون في مخيلتي ولن تظهر في شكل عمل

اذن ماذا يمكن عمله ؟ انها صادقة فيما قالت فقد مرع سوس
الشيخوخة بنخر جسدي ولم تعد ملاحق كما كانت . نعم صرت هزيلة
عجوزاً في حين لا تزال زهر شبابها نضرة وعلى ذلك اذا أردت الغلبة
يجب أن أضمر حداً بيني وبين الشيخوخة

آه . نيران الحياة !

نيران الحياة التي يقولون أنها تمنح العمر المديد والشباب والملاحة
الفتانة التي تحسدها المورديت نفسها . ثم من قال ذلك ؟ انه نوت الفيلسوف
الذي يعرف كل شيء . ولكن نوت لم يدخل هذه النيران فمن أين علم
أمرها اذا لم يكن بالوحى ؟ لقد نهاني على الاقل عن أن اذوق كأسها
ولكن قد يكون السبب في ذلك خوفه ان تقضى علي أنا التي يريد أن
يجعلني خليفة له في انشاء مملكة عظيمة هنا يعبد أهلها ابريس

ومع ذلك قد تكون القصة صحيحة والا لماذا عاش نوت في تلك
الاسومعة الموحشة يحرس الطريق الى النيران ؟ لقد سمعت بقصص تماثل
هذه تروى في العالم اذكر منها قصة من قصص السكندانيين تقول انه
كانت هناك شجرة تسمى شجرة الحياة في حديقة معروفة طرد منها
ابوا الانسان مخافة أن يأكل منها ويصيرا من الخالدين وقد فسر كهنة
اليهود في اورشليم وهولي بعدم هذه القصة وشرحوها لي وعلى ذلك
لا ريب في انه كانت هناك « شجرة الحياة » أو « نيران الحياة »
وضعت الالهة عليها حراساً مخافة أن يصير أبناء الانسان في مستوى
واحد معها

انني أعرف أن تنمو تلك « للشجرة » أو بعبارة أخرى أن تتقد
تلك « النيران » . على ان نوت نهاني عنها فهل استطيع ان اعصى
لاستاذي وسيدي أمراً ؟ انه الان طاعن في السن وسأئول حراسة
النيران بعد موته فهل ليس من حق الحارس أن يذوق ما يحرسه ؟

لقد قال نوت ان الالهة قضت بغير ذلك وقد يكون على حق فيما
قال ولكن ماذا يكون اذا اخترت أن أقف في وجه الالهة ؟ اذا كانت

الالهة قد افشت أسرارها فهل تنضب على من يستخدمون تلك الأسرار ؟
 فنضب الالهة ولنصع شر ما تستطيع أمام خير ما تستطيع
 طالما سئمت نفسي أعمال الالهة وملت أوامرها أو أوامر كهنتها
 المبطونة على التعصب التي تكال على رؤوس الشعوب في هذا العالم .
 ألم يكف الموت ونقمة الحياة لاطفاء نار شهوتها حتى انها تغلاء الايام
 الفارقة بين الحياة والموت بالمتاعب الثقيلة محرم هذا ونحرم ذلك هو ثمرة
 طرق اللباس وتصمم على رؤسهم اكاليل الشوك

اذا كانت قصة نوت صحيحة فما العمل ؟ سادخل الميران واهرج
 منها هبة حميلة ذات ملاحنة تعوق حد نوصف ، شابة صغيرة بيني وبين
 الموت مراحل لانهاية لها . وليس على بعد ذلك الا ان انتظر مبدية
 وجيزة حتى تموت موبارتس ومتى ماتت أو سئمت نفسها الحياة في
 هذا المكان الموحش وغادرته لكي تلتحق الى غيره . ولكن كلا لان
 كالكراتس في الحلة الاولى يكون قد مات ايضا أو باع الشيخوخة
 وفي الحلة الثانية تأخذه معها

• . لقد توفقت الى حل جميل . اذا دخلت الميران وخرجت منها
 دون ان يمسني اذى فيجب ان يدخلها كالكراتس بعدى لانا نصير في
 هذه الحالة متعادلين

والكن ما العمل اذا اختارت اموبارتس ان تدخل نيران الحياة
 كذلك لاها مفرمه بالسحر ولا يمكن ان تنازل حماي يدها ؟ هل
 احسر قصيتي أو يتحس مركزى ياترى ؟ كلا . سيتسع نطاق المعركة
 هذا كل ما هنالك . وهو قد يكون حارسه الميران فلي ان احرم
 هذا وامسح داك . ولكن لنندع هذه المسألة جابجا الى ان يحين وقتها

لأن البت فيها سيكون كما أريد + لا كما تريد أمواتك
 كانت هذه خطتي ولكن هناك فكرة أخرى وهي ما السبل لهذا
 كانت الدينان فتاة ؛ ولكن ذلك . هل وجدت الحياة لذينة حتى التي
 من هذا العالم إلى عالم آخر التي فيه
 وأموات وأموات وما على الأرض من تعاسة وشقاء ومطامع
 وأمانى وخاف ، فقط هل تنسى كل هذه الأشياء ، من المحتمل ان
 تبقى ذكرها فتوخز القلب بسهم امضي جداً
 نعم يجب تجنب الاخطار . ما الحياة الا سلسلة طويلة من الاخطار
 ان اضيف الى حلقاتها حلقة أخرى ؛ كلا ، لست خائفة
 على هذا استقرار الرأي ومع ذلك شعرت في نفسي با كبرياء ،
 اللعب الذي تلقى يد القدر على كاهل الذين يستحمون «بالمجهول» . قد
 تبشتم الالهة من عمل يطوى على الشجاعة ونفض المظار عن مخاطرة
 ولكن من يدري كيف تنتقم يد القدر العمياء ممن يتحدثون أوامرهم
 التي لا ترد ويسرقون اصرارها المكنونة في صدرها ،
 لقد نسيت هذه المعضلة التي كتب على ان اعرف حلما فيها بعد

الى الله الشر والافتقار في اعمال السحر . لا اجهل ان اموتارتس
تصوب سهام سحرها الى صدري ولكنها ستسقط كلها دون ان
تسنى باذى

فلم يزل كالكراتس برأسه وهو يعلم جيدا انى على حق واخيرا
فلم يزل قائلا

— واأسفاه . انها لا تحبك ياسيدتى : ولعمري اخبرتنى مرارا انها
تخافك وتبغضك منذ الساعة الاولى التى وقعت فيها عينها عليك وهى
تقول ان روحها تنذرها دائما وتقول انك ستحرين الحن والمصائب
على رأسها وتدمعين «الموت» ليكون رفيقا لها

— ان الموت يكون بلا مراء ضيفا خيرا من «شيطانها» الذى تسكنه
في صدرها ، لهنى عليك ايها الرجل المسكين . ان قابى ليتمرق لاحلك
لا ارتباطك بهذه الملاحة المسمومة التى حرمتك كل رجاء وعمل للحير
واقترانك هذه الشيطانة التى ستقيد حناجى روحك فى النهاية وتحملك
الى ظلمتها . اضرع اليك اشفاقا عليك يا كالكراتس ان تبحث عن نوت
القديس وتعترف له بذنوبك وتسمع بصيخته لان هذه المشكلة فوق
طاقى ولا قدرة لى عليها . ابحت عنه فى الحال قبل فوات الفرصة لانى لى
اعرف انه صار من الموت قاب قوسين أو ادنى

هذه اعظم امنية لى ياسيدتى ومع ذلك كيف استطيع البحث عنه
انا الذى اجهل مكانه ؟

— سأكون مرشدتك يا كالكراتس . فلنذهب الى زيارة نوت فى
منزله السري عند شروق شمس الغد
فاجابنى قائلا

حسن . ليكون ذلك

ثم حياتي وانصرف

جاءني كالبركاتس في اليوم التالي فنحدثنا معا عن حالة خور
والوسائل التي يجب اتخاذها لتحسين أحوالها وكذا تحدثنا عن تهديد
بعض قبائل متوحشة رفضت عبادة الحقيقة أو « لولا » كما يسمون
أيزيس وعبدت لها آخر ينتمي الى الشمس

وكان كالكراتس يصني الى باهنام فانارت كلماتي روح الشجاعة والدهاء
للمسكري في نفسه ووزن الاسباب التي تدعو الى الهجوم والاسباب
الاحرى التي تدعو الى الدفاع وبعد ذلك سألتني عن عدد شعبي وعدد
الاعداء وعن سلاحهم وغر ذلك مما يتعلق بمعدات الحرب والكفاح

ولما عرف كل شيء وصم الخطة التي رأها خير ما نستطيع عمله في
أحوالنا . وقد اطلال الحديث وكان يتكلم ماهتمام فاخذت اصغي اليه
واراق وجهه الحميل اللامع الذي يشبه وجه اله الشمس لدي الاغريق
وكنت افوه كلمة هما واخرى هناك وأقول في نفسي يا ليت استطيع
بشجاعته وحكمتي ان اقود شعب خور وأهبي مصيره وابني به ملكا
عظيما دونه ممالك العراقه يمتد الى حدود مصر

ماذا اقول في أحلامي هذه ، تقف عند حدود مصر ؟ لماذا لا
نكتسح بلاد الفرس كذلك ونسج ملكين على العالم في سوسا وطيبه ؟
ان هذا العمل يتطلب وقتا والحياة قصيرة ولكن هناك على مقربة مني
تتقد نيران الحياة وفي يدي مفتاحها أو مما قريب سيصير في يدي بعد
لن يقصني نوت نجبه

كادت هذه الافكار الملتبهة والمطامع العالية التي في تحقيقها توجد

بذور السلام ، تبدر من شفتي ويتدفق في كليات حارة تشعل روحه
بلا مراه . ولكني انا طائفة كسبت جراح عواطفى ولزمت الصمت
وقلت في نفسي

انتظري ، انتظري . لم نحن الساعة المعينة بعد
قام كالكراتس لى ينصرف ولكنه تحول نحوى وقال
— ساكون هنا عند شروق الشمس أو بالحرى سنكون هنا لان
امونارتس تريد ترافقنا في هذه الرحلة لزيارة القديس نوت

— أرجو ان يستقبلها بالترحيب بعد ان نالت على يديه ما نالته عند
الزيارة السابقة . ومع ذلك فيمكن ما تريد . يسرنى ان أعلم
ان الاميرة امونارتس تستطيع السفر ثانية ومع ذلك ذكرها كالكراتس
ان الطريق الى ستسلكها شاقة وعرة

— ساخبرها بذلك . على ان هذا لا يجدى تقعا اذ من يستطيع ان
يتني امونارتس عما تريد ؟ اني لا استطيع ذلك . كلا ولا أبوها من
قبلى ولا أى مخلوق على الارض

— نعم ولا أى اله يا كالكراتس لان الطرق التي تتبعها ليست طرق
البشر ولا الالهة . ان كلا منا يطلق سهمه الى حيث يريد : فانت نحو
هدفك وأنا نحو هدفي وهى نحو هدفها فلماذا اذن ينتقد أحدنا
الآخر ؟ دعها تأت لزيارة نوت واتوسل ان تعود مبهجة للقلب

في فجر اليوم التالى وقعت خارج الهيكل انتظر فيلو والجالين فجاءت
امونارتس وكانت ترتدى وشاحا ثقيلالا لان الهواء كان باردا ومع ذلك
كانت جميلة في ثيابها هذه

حنت امونارتس رأسها وحيثنى فائلة

بهذه المخاطرة . وفي الواقع صحت قائلة

- انتظروا هنا وسأذهب لزيارة نوت ثم أعود إليكما وإذا لم أعددهم
دورة الشمس عودوا جميعاً إلى خور وعيشوا هناك، أو إذا شئتم اذهبوا
إلى الشاطئ وسافروا بمساعدة السفينة إلى الملتقى . اني ذاهب

فصاح كالكرانس قائلاً

- كلا . سأذهب معك

فضحكت امونارنس ضحكة طالية كما دتها وقالت

- إذا كان الأمر كذلك فأنك لا تذهب منفرداً ماذا ! هل أحشى
مالا يخشاه سيدي ؟ هل هذا أول خطر استهدفنا له معاً : إذا كان هذا
هو الأخير فليكن .

على ذلك مرنا فوق للتنوء الصخري ، يد ير فيلو في النهاية ، إلى
أن ودلنا إلى طرفه بسلام وهنا راضنا فوق الصخر الخشن و مع ممانه
بايدنا مخافة أن تلقبنا هزانه إلى الهاربة تحتنا أو تقذف بنا لرياح
للشديدة مثل أوراق الأشجار

أخيراً طعن سبب الضوء مصدر الظلمة في الوقت الممير من ذلك
الحشبي وهو يترشح في مكانه مثل سفينة تتلاعب بها الأمواج
ناديتهم قائلة

- تشجعوا ولا تبعوني لأن الهلاك نصيب كل من يتردد

ثم سرت فوق هذه القنطرة المروعة فاجتازتها والتفت على الصحرة
من الناحية الأخرى

وقد كالكرانس متردداً ولكن امونارنس تقدمته ثم انحازت
للقنطرة وهي تضحك لكي توافي انني لست الوحيدة التي منحتهم اللطه

للشجاعة والاقدام

تبعها كالكراتس بعد ذلك فلمسكنته من يده ثم تبعه وهو ربع
الجأش وهكذا وقفنا نحن الاربعة على طرف الصخور من الناحية
الآخرى .

صاح كالكراتس قائلاً

— اننى مبتهج بوجه ردى هنا يا سيدتى ولوان خطر بمالى — ولا
أدري لماذا — اذ هذه آخر رحلة لي على الارض

لم أجبه بكلمة لان كلاته الرهيبة سحقت قالى وحبست صوفى :
على اننى نظرت الى وجهه فوجدته أبيض كالثلج ورأيت عينيه الواسعة تبع
جراوين كأنهما تتقدان بغير ان الحى

تناولك بكالكراتس وأثرت اذ فيلو أن يتناول بكأموذاتس
ثم سرنا الى السلم الممحو من الصخر وذهبنا الى الدار الواقعة
الى صخرة نوت فتهيجت لانزوائى بهبدأ عن الرياح الشديدة ولما
رأيت نوراً فى الكهف المقابل لنا واذا ذلك خالبهم قائم

— استريحوا هاجمياً . سأدخل الكهف أولاً وأحضر نوت الى
يستعد للقائكم

دخلت المكان على امل أن انفى ذلك ذلالي انقرم الغريب الذى يتو
خدمة نوت والكى لم أره على اى كنه و ثقة ان لا بد أن يكون
قريباً اذ شاهدت الطام موضعها شى أربعة اصبق حشوية لا أعرفت
لضيوف ، فقلت فى نفسى ان نوت رآنا ونحز رحب على الصخر المعجز
أو ان روحه نذرته بدمه بنا

درت بمعنى فيما حولي باحثة عن فوت الى أن وجدته في الظل بعيداً عن نور المصباح . وكان جائياً أمام تمثال ايزيس وقد غرق في صلاته على ما يظهر فاقتربت منه وانتظرت هنبهة لانني لم أجراً على أن اقطع عليه صلاته ومع ذلك لم يتحرك ولم يلتفت الي . وكان جامداً كأنه تمثال من العاج ولما عيل صبري ملت نحوه ونظرت الى وجهه فرأيت هيفيه جامدين وفكه قد تدلى

لقد مات فوت !

تأوهت قائلة

— سيدي . سيدي تعزير : سبق للسيف العزل

ثم ملت وقبلته في جبينه البارد

أخذت أفكر بعد ذلك ، وافكر بسرعة فقلت ألم يقل عند ماودعته ان هذه آخر مرة نتحدث فيها معاً ؟ أين ايمانى أنا التي نسيت ان نبوات فوت كلها صادقة ؟

لقد ذهب فوت اذن ليستريح بين أحضان أوزوريس بعد ان القى على كتفى وشده وصرت الآن حارسه على نيران الحياة التي اعرف مرري وحدها وفي يدي مفتاحها

نأت هذه الفكرة على رأسي مثل ضربة شديدة فارتجفت وخررت على ركبتي وشعرت هيبهة بدوار في رأسي وفي خلال ذلك رأيت أحلاماً غريبة ، أحلاماً لا يجوز تدوينها

فمت بعد قليل وسرت الى الباب ثم ناديت لثلاثة المنتظرين في الخارج فدخلوا فقلت لهم

— اجلسوا وكوا

ثم اشرت الى المنضدة التي وضع عليها الطعام
احدق كالكراتس للتظار الى ما حوله وقال
- أين صاحب المأدبة يا سيدتى ؛ أين نوت المقدس الذي قطعنا
هذه الرحلة المريعة لرؤيته ؟

فاشرت الى اصماق الظلمة وأجبنته قائلة
- ها هو ، بارد الجسم ، جثة لا حراك بها ، لقد ابطأت كثيراً
فى خور يا كالكراتس فعليك الان أن تطلب نصيحته وغفرانه على مائدة
أخرى هى مائدة أوزوريس

نظقت بهذه الكلمات لان قوة أوحى بها الي على اننى أردت ان
اقطع اللسان الذى فاه بها قائلة فى نفسى : كيف أخطب الرجل الذى
أحبه عن مائدة أوزوريس فى مثل هذا المكان ؟

سار الجسيم الى الزاوية المظلمة ونظروا الى العابد الداكن والى
تمثال المعبودة أمامه ثم هادوا وكان فيلو يتمتم بالادعية والصلوات ،
وكالكراتس يدق يداً بيد لانه كان يحل فوت ويحبه أكثر من أى رجل
على قيد الحياة وكذا قرأت سؤالاً ارتسم فى فكره وهو لمن يعترف
الآن بذنوبه ؛ ومن يستطيع أن ياتى اعباده عن كاهله ؟

أما امو فارتس فلم يحفل بشيء وفلت وعلى ثغرها ابتسامة ذات معنى
- ربما ذهب الكاهن الشيخ ليري هل رأى أحلاماً صادقة حلال
للسنين الطويلة التى قضاه على الارض . لا ادرى ما كنت تريد قوله
له ومع ذلك اقول ان ما كنت تريد قوله ليس فيه خير لي أأاروجتلك
لأننى كذلك مهما قالت لك كاهنة التى لا تضمر خيراً سواء لي أو
لك أى سيدى كالكراتس . حسن . لقد مات ولا تستطيع بفت الحكمة

نفسها أن تعيده الى الحياة . فانسترح وناً كل ثم نعد قبل أن نخذلنا
قوانا من هذه الطريق المروعة التي اجتازناها الى هذه الحفرة الخبيثة
فاجبتها قائلة

— لا تستطيعين العودة أيتها الاميرة امونارس حتى تغرب الشمس
ثانية ويأتى النور الاحمر فيرينا أين نضع أقدامنا . أما اذا حاربنا
القنطرة الآن فمضى ذلك الموت المحقق لنا . الا ناصغوا الى . لقد صرت
بعد وفاة نوت حارسة على كنز معين كان حارساً عليه . وهذا الكنز
مخبوء في بطن الارض تحتها فلا مندوحة لي من الذهاب لزيارته لارى
هل مسه أحد . ساذهب الان أما أنتم فامكثوا هنا اذا ستم حتى أهود
اليكم واذا لم اعد فانتظروا حتى يسقط النور على طرف الصحرة
واذ ذاك اجتازوا القنطرة وسيروا فوق التنوء وفروا الى حيث تريدون
وها هو فيلو يعرف الطريق

فقال فيلو

— كلا يا ابنة ايزيس . اني مرتبط بك بعهودي وواجبي لاسم دين
الزوجين فابنا تذهبي اتبعك الى النهاية
وقال كالكرانس

— ساتبعتك أيضاً لاننى لا أريد البقاء في هذه الظلمة مع الموت
فاجبته قائلة

— ومع ذلك قد يكون بقاءك أعظم حكمة اذ من يستطيع الإفلات
من الموت الذى تتحدث عنه ؟

بدت هذه الكلمات على كرهه في أيضاً . على ان كالكرانس اجابني
بشيء من الحدة قائلاً

- لا يهمنى . سأذهب

فقاطعته امونارتس قائلة

- اذن سأذهب معكما . ان هذه السكاهنة حكيمة وفديسة بلامراء

ومع ذلك لى الممذرة اذا اخترت مشاركتكما فى طريق مجهولة . ربما
هناك باب آخر لا استطيع الاهتداء اليه

اواه ليت هذه الجمقة كانت تعلم ان طعناتها هذه التى صوبتها الى
قد قست القلب الذى ارادت ان تسحقه ودفعتنى الى حيث لا تريد .
نعم ليتها ادركت ذلك . على اننى اجبتها قائلة

- كما تريدن . الان كلوا واستريحوا الى ان تحين الساعة المعينة
طادعوكم

أكلوا ثم رقدوا فى الكهف الداخلى وناموا أو لم يناموا . اما أنا
فلم اذق طعاما وأخذت اراقب الساعة بجانب جثة نوت محاولة مناخاة
روحه التى كنت أعلم انها على مقربة منى ومع ذلك لم يجبنى شيئاً على
استئلى العديدة أو بالحرقى خيل الى انها اجابتنى بكلمة واحدة وهى قولها
- حذار !

قلت فى نفسى ان من المدهش ان لا يجد نوت سيدى واستاذى
الذى يجبنى أكثر من كل شىء آخر على الارض ، غير هذه الكلمة
التي طالما كان يرددها وهو على قيد الحياة . وعلى ذلك يظهر انه لم
يتحول عن رأيه سواء فى الحياة أو فى الممات

مامعنى ذلك ؟ هل يقصد ان لا التى نظرة أخرى على « النيران »
وان أعود الى خور وهناك اللعب ما استطعت من الأدوار الى ان يذبل
جسمى وتذكرنى الشيخوخة ثم أموت بعد ان ادلل أولاد كالكراتس

وامونارتس اذا مانا قبلى ؟ أو ربما تمل نفسي هذه للشعوب المتوحشة
والحياة بين الخرائب والاطلال فافر منها طالبه عشرة العلماء والفلاسفة
هذه هى نصيحتته. ولكن بماذا تعذني نصيحة قايي ؟ ربما تعذني
موت عاجل بعده عذاب شديد فى عالم مظلم آخر لاننى عصيت نصائح
نوت واقدمت على منازلة قوة جديدة لم ينازلها أحد من البشر . أو
ربما تعذني بمجد وجلال لم يخطرا ببال أحد وسلطان فوق سلطان كل
ملك الارض وحياة أطول من حياة الجبال الراسية ، وربما وعدتني
فرق ذلك بحب من أهوى وهى أمنية أعظم من كل هذه المصح اذا
احتمعت وضربت فى عدد ماعلى شواطئ البحار من الرمل والحصى -
لعمري لا فدمن على تحقيق امنيتي هذه مهما اصابني فى سبيلها ولادهن
نصيحة نوت وانذاراته

حانت الساعة الممينة . ومع ان الظلمة كانت حالكة الا اننى عرفت
ان القعبر قد طلع فى العالم الخارجى فقامت ورايت رفاقى الثلاثة فسرنا
فى ذلك الطريق المظلم الذى وصفته وتسلقنا صخرة بعد أخرى فى بطن
الارض على ضوء المعاييح الضئيل

أخيرا وصلنا الى الكهف الخارجى فاجتزنا الممر وصلنا الى الكهف
الثانى ثم وقفنا عند مدخل دهليز آخر شاهدنا فيه وميضاً يلعب من
وقت الى آخر وسمعنا صوتاً يشبه الرعد يدوي من حين الى حين فقلت
- ان الكنز الذى جئت بأشاهدته مخبوء هناك فامكنوا هنا

فقال كالكرانس

- كلا . سأتبعك الان كما فعلت من قبل

وقالت امونارتس

— اينما يذهب سيدى اذهب أيضا
أما فيلو الاغريقى الحريص فقد حنى رأسه واجابنى قائلا
— فمما وطاعة سأبقى هذا واذا كنت في حاجة الى فادعى يا بنت
الحكمة

وكنيت في ذلك الوقت لا اكثر كثيرا بهيلو أو بمسيره مع انى
كنت أحبه بالرغم من مكره وخداعه فقلت
— حسن

ثم مرت يتبعنى كالكراتس وامونارتس

الفصل الثالث والعشرون

« قضاء النيران »

وقفنا في الكهف الثالث المقرش بالزل الايص والمضاء بالمرور
الوردى . وكانت هناك لمخة سوداء على الزمال المضاء هــها في
الحال لانها كانت تراب ملك الجنة التي ماتت منذ حيال
قربت النيران الدائرة المتعددة الالون من سيد ونحول صوته الى
دوى ، ودويها الى رعد قوى يززع فواءد الجبال الشامخة ويدك
الحصون المنيعه . ثم ظهرت وهى تتوهج بالف ضوء ثم مكثت هنيهة
تنتوى وأخيرا ذهبت في دورانها الابدى في بطن الارض ونحوات كل
هذه للصجة بعد داء الى سكون

دب الرعب فى قلب كالكراتس فخر على وجهه وحشت امونارتس
على ركبتيها بالرغم من كبرائها وغطت عينيها بيديها . اما أنا فوقعتم
منعسة القامة وضحكت ولا عجب فقد كنت أعرف انى مخضوبة لاله
النيران وانه لا يجدر بى ان أجفل من زيجي المستظر
خيراً وقف كالكراتس وسألني قائلاً

- أين الأكراندى تبحثن عنه يا صيدتى ؟ اذا كان مخبوءاً هـا فى
هذا المسكان المروع فائق عليه نظرة سريعة يهـا بنا نهرب فى الحال .
انى خائف

فقاطعت امونارتس قائله

يس فى قولك هذا ما يدعو الى الدهشة لان مثل هذه الاعمال

للسحرة غير معروفة على الارض . وأقول ذلك لأننى أعرف شيئاً من
السحر وكما استحضرت أرواحاً من العالم السفلى ووقفت أمامها وجهاً
لوجه

فقلت بهدوء

ان كبري في قلب هذه البران المتهمة وسأذهب الآن لالقاطه
ولا أدبى هل أعود ثانية أم تحملنى النيران على جناحها . امكثا اذا
شدتما أو اذهبا قبل فوات الوقت ولا تؤلمانى بكلمة تكلم لا تني أريد ان
اصقل روجي لتجمل التجربة الاحيرة
أحذق كلاهما النظر الى ثم لما الصمت

وقفت أفكر هنيئة فخيّل الى اننى العوبة في يد قوتين تجذبني
احدهما الامام والآخرى الى الخلف . فكانت روح الديان تساديني
قائلة

— تعالى ايها القديسة . تعالى البسى ثوب الكمال وكوني ملكة
على الجمل والملاحة . تعالى اشربي من هذه الكأس المتعة بالامرار التي
لم يمسه شفاء أحد من البشر . تعالى أنظري الى هذه الامور المنجوبة
عن أعين الناس تعالى ذوقي الافراح التي لم يخفق بها قلب انسان .
اسرعى امرعى الى احصائي وتعلمي من قبلتي معنى السرور ولا تبهاج
لا تترددي ولا ترتابي . دعي الثقة تقدك من يدك الى وطئك . لا ترتابي
لا ترتابي تشجعي والى ثوب الفناء والبسى ثوب الروح واجلسي على عرشك
بعيداً عن يد اللزس وارفلي في ثوب الجلال الابدي وأنظري بعينيك
الابديتين الاجيال وهي تسير باقدام حزينه من ظلمة الى ظلمة . أنظري
هاهو قرينك من البداية والى النهاية . ستقيده ملاحتك ويسكره

هجير انفسك فيتحول شتاء قلبك المظلم الى صيف منير من الافراح
زاهر

نطقت روح النيران بهذه الكلمات ولكن اجابتها روح أخرى هي
روح نوت فخطبتني قائلة

- ارجعي يا بنت الحكمة قبل ان تلتني بثوب الجنون ولا ينفعك
الندم . يريد العبياد اقتناص فريسته فكلمها رفضت طعمة قدم اليها
أخرى الى ان تنبذها كلها فيلقى تحت قدميها أغلى ما لديه من الحلى
ولكن الويل نعم الويل لمن يفتنها تألفها ولمعانها السكاذب فتمسكها
وتضمها على جبينها وصدرها لأنها ستتحول الى حيات تنهش المخ
والقلب في الداخل . اذهبي . ألم اترك حارسة على النيران فهل تريدن
مرفقة ما أؤمنت عليه لتصيرى في مصاف الالهة ؟ افعل ذلك انسم لك
ان ثوب الالهة الذى تلبسينه يكون قيصا من نار . وسينزع حبيبك
منك ثم تتبعينه في جيم انحاء الارض والكواكب فلا تجدينه واذ
وجدته فقدته ثانية . هل تجربين على ان تنتزعي مصيرك من يد القدر
لكي تصوريه كما تشائين بارادتك العمياء ؟ افعل ذلك تطاردك الشياطين
من جيل الى جيل وتمزقك سيوف الندم وتمخضك الدموع المرة التي
لا تجدى وتجمدك رياح الاحزان للشاجية وتعيشي لارفيق لك يوزيك
ولا مؤانس يسليك الى ان تقنى فى النهاية أمام كرسي العدالة فتسمعي
وأنت صاغرة الحكم عليك بجزاء لا يرد ولا ينتقض . هل هويت يا بنت
الحكمة الى الدرك الاسفل حتى نسيت عهدك وأردت ان تخونى
أمانتك لكي تسلي امرأة أخرى حبيبها ؟

مرت بي هذه المظاهر فتعلقت بأذيال الانكار والرفض وقات كلا.

لا أقدم على هذا العمل وسأقضى حياتي على الارض كغيري من البشر
الى ان أموت . أو اه . ليت الموت يدركنى الان فامضى الى المكان
الذى أعد لي معها كان أو اغوص الى اعماق ذلك النوم الذي لانهاية له
الخالى من الاحلام المزجة

نعم نبذت الافراح والامال ونحوات لى اتساق الطريق المنحدر
الى العالم وما فيه من الالام والاحزان

ولكن - ولكن صمت من بعيد صوتاً خافتاً من الموسيقى . اغنية
اله النيران القادم . وكانت الاغنية حلوة شجية في البداية مثل صوت
الام وهي تدل طفلها لينام فلم يلبث أن عادت الى ذكرى أيام الطفولة
السعيدة .

اشتد الصوت وارتفع فتذكرت أيام شبابه وجاشت في صدرى
وغبات غريبة لا افهم لها معنى

زادت النغمة قوة فتذكرت وقع حوافر الخيل عندما كنت امتطى
صهوة جوادي واقطع به الصحراء كالريح

زاد الصوت قوة فوق قوته الاولى فرأيت نفسي اخوض معركة
حربية بجانب أبى ، يصبح رجال عشيرتى الابطال خائفى ، وأمامى قد
انهزم الاعداء .

آه . ان ربحى يلعب كالبرق ، وشعرى تلعب به الرياح بين الاعلام ؟
صاح الالوف من رفاقي قائلين

- احملى على أعدائك يا بنت يعرب ، احملى على أعدائك

فاندفع جيشنا كالسيل الجارف وحملنا على الاعداء فاخترقنا صفوفهم
اذ من يستاعين الثبات في وجه ابنة يعرب ورجال عشيرتها ؟ ثم احملة

في رقابهم سيوفنا وحرابنا - آه . أرى ربحي اللامع قد خضب بالدماء
 زادت الموسيقى قوة ورهبة فرأيتني الآن وحيدة وسط البرية
 تحت النجوم ، ومن النجوم تساقطت المعرفة والملاحة على قابي كقطرات
 الله-دي فصرت الآن حاكمة دلي الأشعوب وصار الملوك يبحثون تحت
 قدمي كما صاروا المعوبة في يدي اللعب بها واكسرها . ثم رأيت صيدا
 وقد تحولت الى شـملة من نار فزلأت روح الانتقام قاي . اجمعوا !
 هذه وقع أقدام المعبودة ، لقد وضعت ملائكة السماء قبلتها على جبينى
 ودعتنى ابتها المختارة . ان الحكمة في صدرى ، تقطر من شفتي النبوات
 وترشد قدمي الروح : سأقف في وجه ملك الفرس . لقد اقيته عن
 عرشه بعد أن فر من وجهه الجميع واعطيت مجده ورجاله طعمة للنيران .
 هم يصبحون ويصرخون وهم يتقلبون في النار ... لقد هلكوا ...
 أواه . انى وحيدة ، فأين حبيبي ؟ لقد اقتربت خطواتي من القبر
 ولم احمل في بطني ولداً ، فأين حبيبي ؟

فاجابتنى النيران قائلة

- ها هو حبيبك . انه ليس ببعيد . انه بجانبك . نخذه ، خذه ،
 خذه !

صار الصوت الان كالطبل يدوي ويتردد سداه حول الللال .
 وكأني بالملك الطبول تنادى قائلة

- أين قائدة جيوشنا ؟ أين ملائكتنا ؟ تقدمي أيتها الملائكة المتوجة
 بتاج الحكمة الزافلة في ثوب القوة والسلطان . لن نترك بعد الان بلا
 قُمة وسنسير الى الفوز ونقبض على ناصية العالم
 » لقد اقترب ملك الـيران ليفتح أبواب الظلام تتبعه جيوشه

الجرارة . لقد أتى في حلة من البهاء ، لقد أتى في ثوب من الجلال ،
لقد أتى ليأخذ عروسه ، فاخلعي ثيابك . اخلعي ثيابك وتأنهي أيتها
العروس . ان العريس يناديك

خلعت ثيابي وحللت شعري فسقط حولي وغطاني مثل ثوب الحداد
دق كالكراتس الاغريقي اذ ذلك يداً بيد وصاح قائلاً
— هل مسك الجنون ؟

وردت الاميرة امونارنس صدى قوله فقالت وهي تنتظر الانهية
وتبتسم .

— هل مسك الجنون ؟

فاجبتها قائلة

— كلا . كلا . اني حكيمة . لقد ملت نفسي الاشياء المادية والايام
المهذبة انا التي ابحت عن الفرز ابو التي الموت
فبرت هاربة الى أن وقفت في طريق « الزيران » فرأيت ثم . . . ت
ذراعيها نحوي ثم طوقني فسمعت أصوات المجوم
يا للعجب ! ما هذا ! انها لم تحرقني . لقد جرى دم الالهة في عروفي
صارت الروح التي تقطن جسمي شمعة منيرة . لقد ملكتني النيران
وصارت النيران ملكاً لي بهذا الاقتران المروع

رأيت على نور اللشعلة التي أنارت في داخلي مناظر عديدة فاخذت
الحجب ترتقم وتكشف عن جلال بعد جلال ، وجفاني الموت وارتد
بعيداً عن قدمي وقد امتقع وجهه وعراه الخزي والعار . ثم تلاشي
الالم وذهب الضعف ووقفت ملكة على كل شيء يتعلق بالبشر
ثم ما هذا ؟ لقد شاهدت صورتي في النيران كما لو كانت مرآة

فأرأيتني الملاحه بعينها وقد تجسست وقلت في نفسي وأنا حائرة هل يمكن
أن يكون هذا الجسم جسم امرأة ؟ وهل يمكن أن تكون هاتان العينان
هينى النسبة ؟

ساد سكوت عميق بعد ذلك ، وفي وسط هذا السكون سمعت
صوتاً رنته موسيقية اذ كرها جيداً هي رنة ضحكة افروديت !
وكان صمود النيران قد ابتعد وذهبت أنواره للعديدة الباهرة
فوقفت أنا عائشة ظافرة غالبة لا أغلب . ثم تقدمت وأخذت أنكم
بعصوت هذب موسيقى عالمة انى ابست روحاً أخرى . ولعمري من هي
ايزيس أو أبة الهة أخرى بالنسبة الي أنا التي وقفت الآن ظافرة وصرت
مع جميع الالهة في مستوي واحد ؟

أواه ، ألم اكن ادرى ان ايزيس ليست الا الطبيعة وان الطبيعة
صارت من الآن فصاعداً جارية لي . لم افكر بعد ذلك في الذنوب أو
الندم أنا التي سأسن من الآن فصاعداً قوانيني واكون على نفسى حكماً .
ان ما اريده ، يكون لي ، وما لا اريده ينبذ جانباً . نعم لقد صرت
للطبيعة نفسها فاني اشعر بجميع قواتها تجري في دمي وصرت رحيمة
مثل خريفها الرقيق
آه ، انظروا !

هاهو الرجل الذي يهواه قلبي وانما . أراه مسكيناً تكاد تغيب
زهرة حياته وبدركه الموت . فلن يكون قرني يجب أن يكون مثلي
وعلى ذلك لا مندوحة من أن يذرق النيران أيضاً وبعدها لنا أدنى فوض
في أحاديث الحب والفرام ان حبيبى ليس لي وهو على هذه الحال
صرخت قائلة .

- انظر الي أى كالكرانس وقل لي هل رأيت مثل هذه الملاحه
في حياتك ؟

فاجابنى وهو يلهث قائلاً

- جميلة . نعم جميلة ولكنها ملاحه مريمة كلا . لست بامرأة ، انك
روح . أوام . دعينى اغمض عينى ! دعينى اهرب !
فاجبته قائلاً

- اثبت في مكانك وانتظر لاننى سأريك حالاً كيف تفتح عينيك .
انظرى الي يا بنت فرعون واخبرينى هل ذهبت أطبعة الشيخوخة التي
عيرتني بها منذ مدة وهل غادرت وجهي وجسمي أم لا تزال آثارها
باقية ؟

فاجابتنى برمطة جأش قائلاً

- لا ارى أمامى انسية بل ساحرة . اليك عنا أيتها الساحرة الملمونة ،
ارتدى ثيابك واذهبى أيتها المرأة الوقحة الجريئة أو دعينا نذهب وترك
نيرانك الغير المقدسة

القيت ثيابى حول جسمي فبدوت في شكل ملكى بديع واذاك
التفت الي كالكرانس مرة أخرى ونظرت اليه ، وبينما كنت اطليل اليه
النظر ادركت انني تغيرت تغييراً عظيماً

نعم تغيرت فلم أعد عائنة لاولى ، عائنة التي كانت منقاداً بالروح
عائنة التي كانت تنوق نفسها الى السماء ، عائنة النقية النقية للطاهرة .
عائنة التي كانت لا تحلم بغير السماء وما في السماء والتي كانت تعلم ان
منزلها ليس هنا على الارض بل بعيداً وراء بحار للعالم وحباله ، منزلها
الابيض للعالى بالامها ومتاعبها الارضية شديدة حجراً فوق حجر

وزينته بتأثيل الالهة المصنوعة من العاج وعطرته بعبير انقاسها
عائشة متى كانت تسلك الطريق الصخري المنحدر . تؤدي الى
صخرة السلام ، بالاحزان والالام رقدتين دامتين ، نام بها رباح
الظروف وتبلاها دموع الأنداد وتغلبها مياه ندم عائشة التي كانت
تؤمن بمن لا تعرف عنه شيئاً ومع ذلك ظلت سائرة ليلاً ونهاراً تصاب
وتكافح بنير طريقها سراج الايمان واثقة انه لا بد أن يرفع النقب في
النهاية فتري « الوجه المقدس » وتسمع صوته الخلو يرحب بها . وهي
مطمئنة عالمه ان الوقت ليس لها ان عليها في كل وقت أن تقدم حسابها
نعم كانت عائشة سائرة في طريق القداسة بنير أدامها مصباح
الرحمة والغفران

والان ؟

والان ماذا صارت عائشة بعد ان ذقت عناق « روح النيران »
واقدمت على حملها هذا وانزعج . الدم من قلبه الملتهب ؟ نعم ماذا
صار لي بعد ان لبست ثوب الخلود على الارض وفي الواقع كانت تسمع
وهي واقفة صوتاً يناديها دائماً

— انظري . لن نذوق الموت وسنبتقن ما دامت الارض باقية لانك
شربت من روح الارض التي لا تقى حتى يندك صرحها وتحول الى
لا شيء كما بدأت

ماذا صارت عائشة الان ؟ صارت تلك الروح وقد سكبت في
قلب أبيض على شكل امرأة ، نعم صارت جوهرها ، صارت الارض
نفسها ، في يدها قيود صواعقها وعواصفها ان شاءت اطلقها وقت
غضبها ولعمري من يستطيع الوقوف اذ ذلك في وجهها ؟ صارت تعرف

بهاء الارض وجلالها وهي تسبح في الفضاء ؛ يقبلها نور الشمس أو
تحلم بين ذراعى الظلمة . صارت الكواكب شقيقة

ليس هذا كل ما هنالك ، بل صارت كل قوة وعاطفة على الارض
فكل شيء تحت امرتها وسلطانها يأتمر بأمرها وينتهي بنهيها ولا يمكنها
صارت مثل الارض وحيدة لا تستطيع الاتصال بالسماء أو مخاطبة
من في السماء

تجأت كل هذه الحقائق أمامي في لحظة عين وجاءت معها حقائق
أخرى - لم يكن لدى أقل ريب ، لست في حلم . لقد عرفت . لقد
عرفت !

ها ، ارى الرجل الذي اريده واقفاً أمامي . انه تزوج حسب
قانون الطبيعة . ثم لا اريد سواء . ولكن ما أهمية ذلك ان الخمر التي
شتمها يجب أن تشربها فما اريده هولي . من يرفع على الوفوف أمامه
بطشي وقوتي ؟ لقد أمرت أنا عائلة التي ولدت ولادة جديدة فيجب
أن ينفذ أمرى

خاطبت كالكرايس بصوتي الجديد ذى الدخات الحلوة قائلة
- انى عروسك يا كالكرايس فلا تستع منها . استعد يا كالكرايس
وتعال قف في طريق النيران عند هودنها . ثم هيا بنا نحكم العالم
الى الابد

فصرخت أموناريس قائلة

- ماذا تقوين أيتها الساحرة هل تريدن أن تسلمى منى زوجى ؟
كلا . ان يكون ذلك . اذا كنت قوية وذات سلطان فاني لا أقل

ذلك قوة ولو انى لا أزال امرأة . كالكراتس انظر الى أنا زوجتك
التي حنت طفلك وارتبطت بك ارتباطاً لا تقصم له عرى . دع عنك
هذه الشيطانة المليحة قبل أن تفتنك بسحرها وهيا بنا من هذا
الحكيم المروع الخفيف

فقال كالكراتس وهو ينظر الى بخوف ورجب
- انى قادم . انى قادم بلا ريب . انى خائف منها ولا أريد شيئاً
من تلك النيران . انها « ست » اله للشر وقد التحفت بشوب من
اللاهيب .

- كلا . لا تذهب يا كالكراتس . دع أمونارتس تذهب اذا شاءت
أما انت فابق معي حتى يقضى الامر . لقد أمرت ومتى أمرت يجب
أن تطيع

دار كالكراتس على عقبه ثم التقى نفسه بين ذراعي أمونارتس
فطارقته بهما وصمته بشدة الى صدرها

سلك سيف ارادنى اذ ذاك فلم افه بكلمة وانما سلطت قوتي عليه
خذيته من بين ذراعيها وأخذ يسير نحوى خطوة خطوة كما يقترب
المصفور الصغير من الذئبان الذي يجذبه اليه بقوة باصرتيه

رأت أمونارتس ذلك فوثبت بيننا وتقاطرت الكلمات من لسانها
كاسيل . ولا اذكر قوها بالضبط ولكنها كانت تتوسل بحرارة وتبكي
بكاء مرأ ومع ذلك كان قاني قد تحجر في تلك النيران فلم ارث لحالها
ولم اشفق عليها . ولا عجب فقد كان بوسعى منذ ساعة واحدة أن آمر
كالكراتس بالذهاب الى حال سبيله فلا تقع عيناي عليه بعدها ولكن
ببدل الامر غير الامر وصرت عائشة أخرى قاسية ، قاسية جداً مثل

الموت الذى لا يشفق ولا يرقى لاحد في العالم . ان الوحش المفترس .
لا يرحم فريسته كذلك كان الحال معي

مكثت اجذب كالكراس الى بقوتى ، ومكثت أمونارتس متعلقة
به تضرع وتتوصل الى أن تملك الجنون قلب ذاك الرجل المعذب فتار
تغضبه وصب لعناته على رأسها ورأسي معاً ولعن نفسه لانه غادر قيعاني
ايزيس الهادئة الساكنة ونبد الحب المقدس والتجأ الى ذراعي امرأة .
ثم توسل الى المعبودة أن ترحمه وتصفح عنه وتتقبل روحه وتعفو عنها
ثم انتزع من منطقته السيف الاغريقي القصير وطعن قلبه بيده

وثبت اليه مثل البرق وقبضت على ذراعه وجذبته الى الخلف بقوة
مدهشة دونها قوة هرقل فطار السيف من يده ودار الرجل القوي الذي
كان يحمله حول نفسه بصع مرات ثم سقط على الارض

وقفت مضطربة ظامياً انه مات . ولكنه وقف على قدميه والدم
يسيل من صدره ثم تحول الى أمونارتس وخاطبها - ولم يخاطبني - قائلاً
- لا تخافي أيها الزوجة . وأسفاه . انه قطع عميق في الجلد ليس الا
فأجبت قائلة

- اذن دع النيران تشف جرحك يا كالكراس تأهب لدخول
المنير ن التي ستأني في دورتها قريباً
ومصاحت أمونارتس قائلة

- كلا . كلا . يا زوجي . اتوسل اليك بحق هذا الدم ادى يسيل
من جرحك وهو الدم الذى كان يجري في عروني طناً المتوفي والذي
سيجري في عروق طفلك الذى احمله لك في بطني ، ان تقبض هذه
الساحرة وتكمر فيود سحرها

فكرر كلماتها بصوت حزين غريب قائلاً

— بحق طافنا المتوفي . هل هناك كلمات أقدم من هذه تنوسير
بها الي أيها الزوجة المحبوبة ؛ لقد لبست من كلماتك هذه درعاً جديداً
ثم التفت الي وقال

— الآن اعلمي يا بنت الحكمة اني ارفض ما عرضته علي ولن ادخل
نيرانك السحرية ولو اعطيت القوة والعظمة الابدية وارفض مع كل ذلك
ملاحظتك هذه الرائعة وحبك الفنائ . الوداع يا بنت الالهة . اني ذاهب
لانشد السلام والمغفرة اذا كان هناك سبيل الي ذلك . نعم سأطلب
المغفرة لي ولك ولا م طغي . الوداع يا بنت الحكمة . الوداع الي الابد
، سمعت ما جرى علي لسانه فخيّل الي اني واقفة وسط سكون
رهيب في حين كانت هذه الكلمات القاسية التي قضت علي جميع امالي ،
تسقط علي جسمي مثل قطرات من الناج فزقت قابي وعقلي وحواسي
جسمي الي قطعة نلجية

ولكن سرعان ما ثار بركان غضبي فانفجر بقوة رهيبة دون اقوة
الطبيعة نفسها فتكلمت بما جرى علي لساني قائلة

— ازل علي رأسك الموت أي كالكراتس الاغريقي . فليكن الموت
فصيدك والقبر مسكنك . لقد رفضتني ونبتذتني واهنتني في وجهي
فشاءت ارادتي أن تموت ويمحي اسمك من سجل الحياة . مت اذن
يا كالكراتس لكي لا تعذبني عيناك بعد الان والى اعراف كيف اسخر
من ذراك واستخف بها

فمت بهذه الكلمات انا النعسة الشقية مدفوعة بجنوني ، لا أدري
أية قوة صورتها في قابي . نعم خرجت هذه الكلمات فجأة بمجرد ان سمعتني

عصا « الشر »

واعجبنا ! لقد نفذت كلمتي في الحال فبات الرجل على مشهد مني
فضربته القوة المتسلطة على الموت وهي القوة التي منحنتني اياها النيران
كما عمت ذلك فيما بعد . نعم كانت التجربة الاولى لقوتي المشومة اطلاق
هذا السهم المريع على قلب الرجل المريع الذي أحبه واهواه !

لقد مات ! مات كالكراس بلا مرأى أمام أعيننا . ومع ذلك ظل
واقفاً ويتكلم أو بالحري تكلمت على لسانه روح أخرى لأن شفقتيه
لم تتحركا وصارت عيناه مثل الزجاج . ولم يكن الصوت صوت كالكراس
ولا صوت أحد من البشر ، ومع ذلك تكلم أو خيل الي انه تكلم قائلاً
- أيتها المرأة المعروفة على الأرض باسم عائشة انسة يعرب وفي
العالم للسفلى باسماء أخرى اصغى الى ما يصيبك . ستمكثين هنا حيث
خنت عهدك ، هنا حيث قتلت الرجل الذي يهواه قلبك وستتقضين
أجراً لا عديدة على قيد الحياة الى أن يكتمل الوقت ويعود اليك ثانية .
ستمشين باعائشة في عزلة قاسية ، شرابك الدموع وخبزك الندم .
أما القوة التي جذت بها فلن تكون الا سيفاً مفلولاً غنيقاً في يدك :
وستكون مملكتك من الاطلال والخرائب ورعيتك من البرابرة
وحاشيتك من الموتى

سكت الصوت فسألته قائلة

- اذا كان هذا مصيري الي أن يعود الى هذا الرجل بعد اكتمال
الوقت فماذا يصيبني بعد ذلك أيتها الروح ؟ هل قضى على جميع آمالي
أيتها الروح ؟

لم اصمع جواباً . ولكن الجسم الذي كان واقفاً أمامي سقط على
للرمال كتلة واحدة

الفصل الرابع والعشرون

نصيحة فيلو

دارت مجلة النيران مرة أخرى وهي تدوى كالرعد وسارت في طريقها الرهيب فراقبتها عند ما جاءت وراقبتها عند ما ذهبت فخيّل اليّ أنّي أرى بها وجوهاً تسخر مني وتمد اليّ السندما ذهبت النيران في طريقها السري الى جوف الارض فتحول دويها الى قرقة وتحولت فرقعتها الى سكون وأنا واقفة أقول في نفسي لو كنت واثقة من أنّها تقتل لالقيت نفسي تحت عجلاتها

تلاشت النيران ولم يبق شيء غير الكهف المفروش بالرمال البيضاء والنور الوردى وقد أضاء على جثة كالكراس . ولكن كانت هناك أمونارس أيضاً فقد ظلت واقفة تصب علي لعنات جميع آلهتها نعم وقتت أمونارس بجراتها المعهودة تصب على رأسي جميع اللعنات وتستنزل علي كل شر ونقمة في السماء فوقنا أو في لارض تحتنا وهي لا تدري ان كل ذلك لا يجدي نفعا

أخيراً تملكها اللصعف والملل فخاطبتها قائلة

- كفى . هيا ندع فيلو لكي يساعدنا على حمل هذا النبيل لدفعه فاجابتنى قائلة

- كلا . أيتها الساحرة . اقتليني بسـحرك أيضاً اذا شئت . اقتليني الزوجة كما قتلت زوجها مدعينا نسترح في هذا المكان الى الابد . ليس لدى أعز من هذه البقعة التي يقتل فيها الزوجان وتصير لهم

قبراً واحداً

فكررت قولى قائلة

— كفى . تعلمين جيداً اننى لا أريد قتلك وان جنونى لا ارادنى
هو الذى قضى على كالكراتس الذى تحبه . ولعمري كنت اجهل ان
روحي صارت من الآن فصاعداً سهماً يطير على أجنحة الموت

مرت فى الكهف واجتزت الدهليز الواقع وراءه وفى نهايته ناديت
فيلو أن يتبعنى فجاها ولما وقع نظره على ملاحق الجديدة وأنا واقفة فى
انتظاره فى الضوء الوردى خر على ركبتيه وقبل قدمي وهذب ثوبى
ثم أخذ يتمتم قائلًا

— أى ايزيس على الارض والملكمة المقدسة

فناديته قائلة

— قم واتبعنى يا فيلو

ثم هربت أمامه الى حيث سقط كالكراتس فرأيت أمونارتس جاثية
بجانب جنته تبكى بكاء مرّاً

أشرفت الى الجرح الذى كان لا يزال يقطر دمّاً فى صدر كالكراتس
ثم خاطبت فيلو قائله

— لقد قتل هذا السيد نفسه لانه لم يستطع والاسفاه أن يحتمل

المظهر المملوح

فتأوهت أمونارتس وقالت

— كلا . لقد قتله هذه الساحرة

لم يسمع فيلو أو اذا كان سمعها فانه لم يحفل بها

حملنا نحن الثلاثة كالكراتس بيننا بعد ذلك وسرنا به فى الطريق

للشاق الذي لولا قوتي التي اكتشفتها ما استطعنا احتيازه . وهكذا
احترقنا الكهوف والمسحدرات الملتوية الى أن وصلنا الى صومعة نوب
قبيل غروب الشمس

أمرت فيلو وأمواراتس أن يتسارلا شيئاً من الخبثاء ثم لما لم
تكن لي حاجة اليه . وبسلكنا بأكلاد رفعت حثة نوب بمصل قوتي
الحديدية ثم وضعتها على الارض رقة ووصمت دأعه على صدره ثم
تركته لييام نومته الاحيرة بعد أن غطيته بمساحته

ولما فرغنا من أعمالنا هذه حملنا الكراتس الى الصحرة المرتفعة
وانتظرنا محبي شماع الشمس حياء خاد وعى نوره عبرنا القصرة لمعه
ولكن اللوح الخشبي لم يفو على احتمالنا فانكسر بعد أن احتارته
أمواراتس وفيلو وكنت لأرال عند طرفه وقد حبلى الى ابى ساسقط
الى الهاوية ولكن ذلك لم يحدث ووجدت نفسي محابيه من الحثة
معهما .

حملنا الكراتس فوق التسوء السجدي ثم احترنا الذهبين الطويل
الى أن وجدنا المقالات لا تزال في انتظارنا فوضعنا الحثة في أحداها
وعادنا الى حور فملغماها عند الفجر

حملنا الحثة ثانية الى الغرفة التي أمام فيها واد ذلك خطرت بمالي
فكرة فخاطبت فيلو قائلة

- ألم تخبرني مرة ان بين الذين يقومون بخدمتنا في الهيكل بعض
شيوخ يعرفون كيف يحفظون حث الموتى من الغماء كما كان يعمل
أجددهم هنا في خور ؟

- مع أيتهم الملكة يوجد ثلاثة منهم

— اذن ادعهم يا فيلو ومرهم أن يأتوا معهم بادواتهم وتوابلهم
 جاء الرجال الثلاثة بعد قليل وكانوا طاعنين في السن تمددوا عليهم
 هماء الملل فاشترت الى حثة كالكراتس وسألتهم قائلة
 — هل في وسعكم أن تحفظوا هذا الجسم المقدس ولا يتسرب اليه
 للفتنة ؟

فاجاب أحدهم قائلاً

— ادا لم يكن قد مضى عليه بومان كاملان من وسعنا أن نحفظ
 جسمه بحيث يخبل الى من رآه بعد حمة آلاف سنة انه مات في هذه
 الساعة أيتها الملكة

— اذن قوموا بمهمتكم أيها العميد واعدوا السكم اذا قتم بوعدمكم
 احسنت حرائكم يا الالهكم عذاب شديد
 فقال الرجل

— ليكن ما تريدن أيتها الملكة

اشعل الرجال ناراً خارج الغرفة ثم وضعوا عليهم قدراً من القمح
 خلطوا فيه مقداراً معيناً من الاعشاب الجافة مع جزء من الماء ثم تركوا
 القدر يغلي على النار الى أن امتلأ الهواء برائحة لداعة

وبدأ كان القدر يغلي أخذ الرجال حثة كالكراتس ففسلوا وادهموها
 بمادة سريفة الدسها ثوباً أبيض لاصعاً كالرخام ثم جاؤا بعد ذلك بقمع
 من الفخار وضعوا طرفه في وريد العمق ولما فرغوا من ذلك اوقفوا
 الحثة المتصلبة على قدميها ثم امسكها اثنان منهم وحذاء الثالث بالقدر
 بعد أن وضع به مادة تشبه الزجاج بعد ذوبانه ثم صعد على سلم صغير
 اسنده الى الحائط وأخذ يصب ما في القدر في القمع المتصل بوريد

للجنح ببطء واحتراس فسرت هذه المادة بقوة ثقلها في جميع أوردة الجنة .

نزل للرجل بعد أن صب معظم ما في القدر ثم اتهم الرجال الثلاثة مهمتهم بعد ذلك بطريقة لم أرها لاني لم استطع البقاء لمراقبتهم وهم يجوزون الجنة على هذه الحال لوضعها في القبر . وكذا لم اقو على احتمال رائحة العقاقير التي استخدموها

أخيراً استدعوني فرأيت كالكراتس كأنه في نوم عميق ، هادىء جميل الوجه كما كان وهو على قيد الحياة
قال كبيرهم

سيصير جسم هذا الرجل مثل الرخام عند شروق شمس الغد وسيبقى كذلك الى الابد ولك أن تخمليه الى أى مكان تريدن أيتها الملكة ولكن لا تدهى أحداً يمسه قبل صباح الغد

أمرت بمكافأة الرجال ثم سمحت لهم بالانصراف بعد أن سألتهم أين كان أهل خور يدفنون ملوكهم فقال زعيمهم انهم كانوا يدفنونهم في الكهوف الكبيرة التي تبعد مسافة وجيزة داخل السهل فامرتهم أن يرافقوني غداً الى هناك ومعنا جثة كالكراتس

جاء فيلو بعد ذلك وقال ان كهنة ايزيس وكاهناتها يريدون مقابلتي وانهم مجتمعون في فناء الهيكل الداخلى أمام تمثال الحقيقة فامره أن يتقدمنى الى هناك ولكنه تردد قليلا وقال

— هناك مشكلة أيتها الملكة فان الاميرة أمونارتس أسرت الى أولئك للكهنة والكاهنات قصة ، فاقسمت لهم انك لست امرأة بل شيطانة

نعم وساحرة خرجت من العالم السفلى وانك قتلت كالكراس لأنه رفض
أن يعطيك نفسه . وقد اقسمت أيضاً انك تسعين لقتلها ولكنك عجزت
عن بلوغ أمنيتك هذه بفضل قوة سحرها الذي تعلمته عن والدها
مخت . نبت فاستطاعت الافلات منك حية

فاجبته بدون اكتراث قاتلة

— انها تكذب في الشطر الاخير من قصتها

وصلنا الى الغناء الداحلى فى الهيكل . وكانت الشمس مالت الى
للمغرب فامتلاً المكان ببور متوهج ثم جلست على مقعدي تحت التمثال
فانعكست أشعة الشمس على فزادتنى جلالاً على جلال

وكان الكهنة والكاهنات واقفين صامتين وقد عقدوا اذرعهم على
صدورهم واطرقوا برؤوسهم فلما وقعت أعينهم على تمتموا دهشة وممتمت
أحدهم يقول

— لقد صدقت الاميرة فيما قالت

ولم اكن ادرك في بداية الامر شيئاً على اننى تذكرت فيما بعد
لم اهد مثل النساء بل صرت صورة مجسمة من اللبهاء والحلال
قلت

— تكلموا

فارتجفوا عند مماع لهجة الامر القوية فى صوتى كما ترتجف أوراق
الاشجار عند هبوب النسيم خفاة

تقدم كبير الكهنة وهو رجل ضخم الجسم متوسط العمر يدعى
رامس واحدق النظر الي ثم قال بصوت متهدج

— لا تدري ماذا نقول أيتها الكاهنة . أي بنت الحكمة أي يريس

على الارض فقد سمعنا انك غيرت شكلك كما نرى باعيننا الان . لست
رئيسة الكهنة التى حكمتنا فى هيكلمن ومنف وتبعناها الى هذه الارض
المقفرة . لقد أثرت فىك قوة سحرية
فاجبته قائلة

— إذا كان الامر كذلك فهل هو قوة خبيثة ؟ اخبرنى يا راس هل
غيرت الى أحسن أو الى أسوأ ؟
فاجابنى قائلاً

— انك جميلة ، جميلة بحيث يمس الجنون عقل كل رجل تقع عيناه
عليك . ولكن ملاحظتك هذه أيتها الكاهنة ليست ملاحظة بشرية . كلا
انها ملاحظة كالتى يعطيها « تيفون » لمن باعت له روحها . وهناك أيضاً
أمور أخرى فقد علمنا انك قتلت ذاك الرجل الاغريقى كالكراس
الذى كان رفيقاً لنا فيما مضى لا لذنبا الا انه رفض حبك . نعم علمنا
انك أى رئيسة كهنة ايزيس قتلت رجلاً لانه تحول عن ذراعيك الى
ذراعى زوجته ، الاميرة امونارتس وانك كنت ، تريدن قتلها هى أيضاً
لما استطعت ذلك

فسألتها ببطء قائلة

— ومن اخبركم ذلك ؟

فاجابنى راس قائلاً

— الاميرة نفسها . انظرى . انها هنا . دعها تتكلم .

فخرجت امونارتس من بين المجموع وصاحت قائلة

— لست كاذبة . لست كاذبة . اقسم امام تماثيل الحقيقة هذه واشهد

الارض والسماء على ان ما رويته لكم هو الحقيقة بعينها . فى صدد

زوجي القتل جرح فاسألوا هذه الساحرة كيف أصابه هذا الجرح .
لقد دخلت النيران لا يستر جسمها غير شعرها . ثم خرجت منها تردي
ثوباً من الملاحة الغير البشرية وناديت زوجي لكي يذهب اليها ويمسحها
ولم تستمع هذه الوقحة بل همت بنفسها عروسه . وقد فعلت هذا على
مرامي مني أما زوجته وعلى مسمع مني . ثم أمرته ان يدخل النيران
فلما رفض ، انهجأ الى زراعي أرسلته الى طريق الموت بكلمات قوتها ،
فقلت :

« ازل على رأسك الموت أى كالكراتس الاغريقي . ليكون الموت
نصيبك والقبر مسكنك . . لقد رفضتني ونبذتني واهنتني في وجهي
فشئت ارادتي أن تموت ويمحي اسمك من سجل الحياة . مت اذن
يا كالكراتس لكي لا تعذبني عيناك بعد الان ولكي اعرف كيف
سخر من ذكراك واستخف بها » . هذه هي كلماتها فلتنكرها اذ
استطاعت . وأقول أيضاً انها كانت تسمى دائماً لكي تضلل كالكراتس
فلما لم تستطع تعاقبت مع « تيفون » ولكنها لم تستطع أيضاً أن توقعه
في حبائلها واحتقرها فقتلته مدفوعة بمامل الغيظ والغيرة

سمع الكهنة والكاهنات قولها هذا فارتجفت أعصاؤهم واصفرت
وجوههم ثم طلبوا الي أن أجيبها على ما اتهمني به . ولكني قلت
- كلا . لا أجيب بكلمة . من انتم حتي اقدم لكم حساباً عما فعلت
او لم افعله ؟ ظنوا ما شئتم وافعلوا ما اردتم . لا احرى جواباً غير اني
أقول ان ما جرى كان بقضاء « القدر » الذي هو فوق كل اله والهة
والذي يجلس على عرشه فوق ابعد نجم في السماء
انسحب الجميع بعيداً وتحدثوا فيما بينهم وأخيراً تقدم الي الكاهن

وامس! وهو لا يزال يحدق للنظر الى ثم قال
 - لا ندرى هل لا تزالين في خدمة ايزيس أي مائشة ابنة يعرب.
 على اننا قررنا نحن خدامها الذين تكبدنا كل هذه المتاعب والمشاق
 لاجلها أن ترفض رئاستك علينا فلم تعودى رئيسة الكهنة أي مائشة
 أو بالحري أيها الروح الشريرة ولا ندعك بعد الان تقفين ووسطنا
 أمام مذبح ملكة السماء
 فأجبتة قائلة

- ليس ما تريدون . اذهبوا ودعوني اعقد الصلح مع ايزيس التي
 صرت من الان فصاعداً قرينة لها . أرى من علامات الرعب التي تنحلي
 على وجوههم انكم تعتقدون انى اجدف ولكنى لم افعل شيئاً من ذلك
 انى اتكلم بلسان هذه المعبودة الهة الحقيقة . والان الوداع . اوجرو
 لكم مستقبلاً حسناً وسأمد لكم يد المساعدة فى كل شيء اذا استطعت
 فيلو ، هل تريد مفادرتي أيضاً مثل هؤلاء الكهنة ؟
 فاجابنى قائلاً

- كلا أيها الملكة . اننا رفيقان قديمان نجشنا ممأ أخطاراً عديدة
 بحيث لا يهون أفرافنا . اننى اغريقى دخلت خدمة ايزيس بمصدان
 للتقيت بك أي بنت الحكمة الحسناء ورأيت أعمالك على سطح السفينة
 هانى . أوقصارى القول ساتبعك أينما مرت . لا اعلم هل قتلت كالكراس
 هذا أو هل قتل نفسه بسيفه ولكن اذا كنت قد عرضت عليه حبك
 ورفضه فاننى أقول كرجل انه يستحق ما أصابه وفيما عدا ذلك أقول
 أننى تاجر احصل على ربحى أينما وجدته واعلم انك تجزئين العطاء وعلى
 ذلك سانشوى تحت لوائك الى النهاية واتبعه أينما فادنى : ان هما ايزيس

هو الى حيث ذهب آبائي وأجدادي فالتقى هناك باثيلس وهكتور
وعوليس وغيرهم من أبطال البحار الذين يتغنى بهم هومر . ان المكان
الذى تزلين به هو وطنى لانى سأجد في منزلك دائماً غرفة لي وعلى
ظهر سفينتك مكانا اقف فيه مهما طال السفر

نطق الاغريقى الداهية بهذه الكلمات ولعمري شعرت بامتنان عظيم
في ساعة وحدتى هذه كما أشعر به الان والى الابد لانه كان مخلصا
لمن يحب وكان يشعر نحوى بذلك الحب الذى يتولد من المعاشرة الطويلة
والخدمة

تبسمت في وجه فيلو وسألته قائلة

— أما وقد فهمت بهذه الكلمات فماذا ترى في أميرة مصر ؟ دهبها

تفصح عن رغبتها حتى أنقذ ما تريد اذا استطعت

ماجابت أمونارتس قائلة

— ان الامر بسيط . أريد التخلص منك لا أقل ولا أكثر . أريد

مغادرة هذا المكان لاجل طفلى وأربيه وأوصيه ان ينتقم منك لاجل
دم أبيه التي هدرته أيتها الساحرة وسامحل وأتوسل ان تكون الشياطين
قوادك أيتها القاتلة

فجبتها بهدوء قائلة

— ليكن ما تريد يد القدر . لقد نصب مرسح القدر وسنلعب

دورنا عليه نحن العوبة القدر الى النهاية . ولكن كيف ينتهى دورنا
أيتها الاميرة أمونارتس ؟ انك لاتدرين ولا أنا . فيلو . رافق ابنة
فرعون الى الشاطيء أو الى أى مكان تريده حتى تجد طريقتهما الى بلاد
الاغريق أو مصر . واذا ما فرغت من مهمتك هذه عد الى واخبرني بما

تم . رافقتك السلامة يا أمونارتس
- رافقتك الشمر أيتها الساحرة . اننا تفترق الان ولكما سستقي
ثانية في مكان آخر اذ بينو وبينك حساب يجب ان نسوبه
فاجابتها قائلة

- نعم ولكن لا تفخري يا أمونارتس ولا
تكوني شديدة الثقة بشيء ، اذ من بدري هل ترجح كفتي أو كفتك
اذ ماسوينا حسابنا
- أننى أعرف على الأقل ان حسابنا طويل وان للقتل ثقل كبير اذا
وضع فى آية كفة من الميزان
ذهبت أمونارتس وذهب الجميع وخلفوني وحيدة أكرلى كرمى
الراسة الذى جلست عليه لآخر مرة
أخيراً احاطت بى الظلمة وبان نور القمر الضئيل فرأيت شبح رجل
يزحف محوي مثل اللص فناديت به قائلة
- من هذا ؟

فاجبنى صوت غليظ قائلاً
- أنا رامس الكاهن أيتها الملكة الحسناء
- تسكلم يا رامس
- أو اه أيتها الحسناء . لقد ألقاك هؤلاء الجهلاء عن عرشك
ونبدوك

- هذا ما أخبرتنى به منذ هنيئة يارامس ولا أري وجهها للومهم
- لقد أخبرتك بذلك لاننى كنت مرغماً ولم تكن هذه ارادتى .
قصى الامر ونبدك الكهنة جانباً وانتهت عبادة ايزيس فى خور لانه

ليس هناك من يلا مكانك ولكن اعصمني . اعصمني . اننى أنعلق بك .
 اننى اهواك . اننى أعبدك أريدك زوجة لى أيتها الحسنة الفتاة فنحكم
 معا هنا في خور فتكونى انت ملكتها ومعبودتها وأكون أنا قائدها
 — من الحكمة واصالة الرأي ان تقبلى ما عرضته عليك أيتها الملكة
 المقدسة

— ولماذا ؟

— لاننى أستطيع أن أحميك . لا أخالك تجهلين نصيب الذين يستقنون
 العهد والميثاق وأقول انه صدر الحكم عليك بذلك فملا وان هؤلاء
 اللثام يسمون لغفلتك . فاذا اتخذتني زوجا لك استطعنا ان نقتاهم أو
 نطردهم وهكذا أكون لك درعا تقيك كل أذى وشر

سمعت قوله فلم يسمعنى الا ان أغربت في الضحك . والظاهر ان هذا
 الاحتمق فسر صحى كنى هذه تقيدا غريبا وعلى كل حال رأيت قد القى
 نفسه على وأمسك يدي ورفعها الى شفتيه ولكنه لم يدها لى بالغضب
 كان قد تملك كنى ، غضب مريع كذاك الغضب الذي نما كنى في كهف
 النيران فصرخت في وجهه قائلة

هل تجرأ أيها اللعين واللص الوقح الشرير على ما تقدمنى به ك ؟
 الا سحقا لك . اذهب الى « ست » فلا يعرفك العام بعد فأن
 وبينما كنت للكلمات تخرج من فمى شعرت كان نارا وثبت من
 جسمي وضربت الرجل كأنها صاعقة فرفع يديه الى رأسه ثم رنح الى
 الورا وسقط على الارض ثم تأره — وفارق الحياة

نظرت الى الرجل وهو ملقى على الارض في ضوء النمر الاحمر
 به فادركت أخيراً أننى أستطيع من الان فصاعداً ان أقول من شاء

بمجرد الفكرة وانني صرت « سيدة الموت » وان الغضب الذي يمبر
الناس عنه بالالفاظ يندفع مني بكل ما أوتيت السماء من قوة . وقد
علمت فوق ذلك ان هذا الغضب يشور جأة في نفسي وان من السهل
اطلاقه من قيوده ولكن من الصعب كبح جماحه . نعم صرت صاعقة
لايحرأ انسان على اغصابي اذا كان يريد البقاء على قيد الحياة
جاء فيللو فاحدق النظر الى رامس الفتيل ثم نظر الى نظرة استفهام
فاجبته قائلة

— لقد اراد ان يصع يده على يا فيلوفقتلته
— اذن لقد نال حراة الحق . ولكن كيف قتلته أيتها الملكة ؟ لا
أرى جرحا في جسمه ولا أثر لضربة
— قتلته بقوة جديدة جاءني يا فيللو . لقد أردت ان يموت فأت
هذا كل ما جرى

— يا لها من قوة غريبة مروعة ياسيدتي . عليك ان تراقبي اطوارك
من الان فصاعداً يا بنت الحكمة ولا لاتمضي مدة وجيزة حتى تغترق
لانك تنصبين على في بعض الاحيان فاذا حدث ذلك صرت في عداد
الاموات لا محالة

— مم يا فيللو هذا ما عساه . بحسب ان أراقب أطوازي جيداً . ومع
ذلك لأخاف في لي لئلا تموت

— هل أنت واثقة يا عائشة ؟ اصني الى . ماهي جريمة هذا الشقي
المسكين ؟ أليست حرمة نه عن حاة بفرامك — بعد ان كان رجلا
صالحا لم يصب قلبه حتى الان الى امرأة — فسول له جنونه ان يطلب
اليك الزوج به وهو ما يفعله كل . ل فقد عنان عقله فكان جزاؤه

القتل والهلاك ؛ اذا كانت هذه الجريمة كافية بقتل الرجال فاخبرني كم رجل يفت من غالب الموت ليبلغ الشيخوخة ، أظن ان الجميع لا يلبثون ان يساقوا الى الكهوف والمغاور لكي يعيشوا مثل نوت الناسك في الصوامع . ليس كذلك ياسيدتي ؛ اخبرني يا من عركت الايام وعرفت جاني للعالم

«جبتة قائلة

— نعم هو ماتقول

— اذا كان الامر كذلك فاصححي ان القى عليك سؤال آخر وهو ما بالذي خيل عقل هذا الرجل ودفعه الى الجنون ؛ اليست رؤية ملاحتك هذه التي لم ير لها مثيل في العالم ؛ ملاحتك التي لو أطلت اليها النظر قليلا يا عائشة ذهب عقلى أنا أيضا لاحالة كاي رجل اخر . اعلمى يا بنت الحكمة ان ملاحتك هذه التي ظهرت بها اليوم هي أعظم لعنة يمكن تمضيها الآلهة لامرأة وعليك من الان فصاعدا ان تتقنمى ولا اصبحت قائلة لسكل رجل تقع على ملاحتك عيناه

فقلت بحزن

«رى انك على صواب يا قبلو . لقد تأقت نفسي الى الجمال فكان لي ما تمنيت ولكن ليس كل الهبات نعمة معها عظمت

— هذا ما سمعت الفلاسفة يتحدثون به في بلاد الاغريق ومع ذلك لم ار واحدا منها يرفض هبة أو منحة . أحقنى عنى هاتين اللعينتين يا عائشة ، أخفيتها في الحل . ما دامت بيثة رامس ملقاة أمامي فالحب خائف ولكن من يدري ماذا يكون بعد نقلها ؟ اه . قد سميت . اعلمى أيتها الملكة انه صدر عليك حكم يشبه الحكم الذي أصدرته على رامس

هذا وقد جئت لجنايتك
فضحكت ملء شدي وقلت
- يالك من غي أحق ! الا تدري الى الاني لا اقتل ولا أمس
بقل أذى ؟
فرفع الرجل يديه ذهشة وقال
- رحماك أينها الالهة
ثم لزم للسكوت

نمت تلك الليلة بجانب جثة كالكرانس الباردة وبألمها من ليلة مروعة
لم أر لها مثيلا في حياتي الطويلة على الارض فقد شاهدت أحلاما مخيفة
خيل الى فيها ان نوت يحدثني . كلا لم يكن نوت بل لسان من النار هو
روح نوت فلم أر شيئا غير هذا اللسان المتقد وقد خاطبني بهذه الكلمات
الرهيبة قائلا

- ابنتي . لقد القيت نصائحى الى الرياح وخنث عهدك وتقصت
أوامري التي استخلصها من الحكمة التي وهبت لى ، فدخلت النيران التي
عهد اليك بحراستها فاحتضنتك وتلقيت هبابها وعطاياها فانظري ماذا
كانت أول ثمرة لها . ان الرجل الذي يهواه قلبك ملقى بجانبك جثة
هامدة ؛ وهناك في فناء الهيكل توجد جثة رجل ظل طول حياته صالحا
الى ان حولته ملاحتك للقتالة الى رجل شرير ، ثم قضى على عبادة ايزيس
في هذه البلاد التي لن يقوم فيها شعب قوى تقى . لقد سحق قلب
الاميرة أمونارتس ومع ذلك ستجى الى ان تلد من يأخذون بالنار
وسيلحقك أحدهم في الوقت المعين . ستعيشين في العزلة والانفراد

والندم الى ان تموت للنيران التي لا تنطفئ لها جذوة مادامت الارض باقية ، تبحين فلا تجدين أو اذا وجدت تفقدين مائجدين . ستكونين من الان فصاعداً غريبة عن جميع الرجال ، ذات ملاحه مريعه يتوق اليها الجميع ولكنهم يخافونها وتمنتونها . سيفلت منك كل ما نسمين وراءه للحصول عليه مثل كوكب دواربن تدركه يدك وتستجدين الهلاك على رأس الوف أثناء افتتاحك أثره . لقد نزلت على رأسك اللعنة يا ابنتي

فسألت نوت في رؤياى هذه قائلة

... ليس هناك صفح وغفران ؟

— نعم يا مائشة عند ما ينال العالم الغفران فاذك قد تجدين نصيبك من الصفح والغفران اصغني الي . توجد رؤيا شغلت بالك في جميع أيام حياتك ، وقد استدعيت افروديت في تلك الرؤيا مع آلهة الشر ووقفت أمام عرش ايزيس ثم وضعت على كاهلك أيضاً مهمة هي محاربة تلك الالهة والقضاء عليها في مصر

فاجبته قائلة

... كانت هذه اضغاث أحلام . فقد علمت الآن ان ليس ثمة آلهة

لشر ولا افروديت حتى ولا ايزيس

— انك تخطئين يا ابنتي . نعم ليست هناك ايزيس كالتي صورها الناس في أحلامهم ومع ذلك هناك ما يسمونها بايزيس والتي أحجم البعض أن يتصوره عقل الانسان . هناك « الخير » الابدى وهذا « الخير » هو الله . وقد ظل الانسان خلال الاجيال التي لا تحصى يكافح للطبيعة ويقاثلها ويرفع قلبه الى فوق حتى كاد ينظر وجه ذلك « الخير »

المعظم . لقد كان هذا حالك يا ابنتي والان الى أية وجهة تحولت القدر
هرعت من الطريق الخلفى فنقضت كل شيء وعدت ثانية الى الطبيعة ،
كانت الطبيعة نفسها ، تعلمين بجهاها للكاذب الرائل وتمتعين بقوتها
للشئمة القتالة : أنت التى اقتربت من قانون الحياة التى كانت تنتظر لك
فيما وراء القبر

فاجبت بنفس متألمة قائلة

— لقد فعلت ما فعلت مدفوعة بالحب ، وسينقذنى الحب
— نعم يا عائشة سينقذك الحب فى النهاية بلا مرأى كما انقذ كل شيء
كتب عليه الفناء الابدى ادا لم ينل نعمته . ومع ذلك فان هذه لرحمة
لا تزال بعيدة عنك اذ عليك قبل ان تنالها ان تتغلبى على جميع الزمات
التي حملتك على دخول النيران الواحدة بعد الاخرى . لقد كتب عليك
يا من أردت النفع بالجمال الابدى ، ان ترى جسمك المليح خبيثاً مشوهاً
يفر الناس منك عند رؤيتك كما يفرون من المجذوم . لقد كتب عليك
أن تكونى البقة كالحمأة ضعيفة كالطفل يا من افعمت قلبك بالغضب
والقوة ، فبالالام والمتاعب يجب أن تتعلمي كيف تخففين آلام غيرك ،
وبالتفكير يجب أن تكفري عن جرائمك وبالايمان يجب أن ترفعي روحك
وبالمعرفة يجب أن تتعلمي جمال تلك واحتقار نفسك . هذا ما كتب عليك
يا عائشة وهذا نصيبك

هذه خلاصة الرؤيا التي رأيتها فلما استيقظت بكيت بكاء مرأى . ولا
عجب فقد ادركت اننى سقمت . وانزع من يدي كل ما جمعه خلال
الاعوام الطويلة التي قضيتها في التعميد والصلاة وخدمة المعبودة ،

وسقطت الى هاوية لا قرار لها من الاحزان والالام بعد ان كنت واقفة على مقربة من دواعي الابتهاج والسرور . لقد سمعت نوت يقول في رؤيائى انه لا يوجد شيء اسمه ايزيس وهذا ما عرفتة من معلوماتى وحكمى أيضاً . ومع ذلك يوجد « الخير » الابدى الذى عرفوه فى مصر بامم ايزيس وفي بلدان أخرى بأسماء متعددة . فلم تعد الى صالة بذاك « الخير »

لقد صرت مثل أجدادي الذين تقدمونى بالوف من السنين . جزءاً من الطبيعة كما نراها على الارض ونشعر بها فى دمننا . فصارت جميع قواتها قوائى وملاحتها ملاحتى ورغباتها رغباتى وبغضها بغضى ولكن على ان استأصل من روحي المسممة كل هذه الانزعات واطهر حديقتها من جميع النباتات السامة . لقد سقطت اللعنة التى صبت على رأس الطبيعة على رأسمى أيضاً وعلى سبكون نصيبها من الهلاك نصيبى . هذا هو الهلاك الذى جررته على رأسمى حين اصغيت الى النداء الى النيران

أواه . نظرت بجائى الى جثة كالكرتس الباردة ، كالكرانس الذى احتقرنى ونبذنى وحول وجهه عن ملاحتى ورفض حبى ، ثم شعرت بنيران عواطفى تتأجج فى صدرى فبكيت ، أنا عائدة التى نبذتنى السوء ما شاء لى البكاء كما لا أزال ابكى الى اليوم وغد

لا عجب . ان هذا نصيب الذين يطأون باقدامهم الخير وهم يتفنون وراء اللالء الكاذبة التى يثرها المغررون بهم أمام أعينهم من المحتمل ان فوت لم يعكرو صنفوا راحته الابدية لكي يحاطنى فى أحلامي بل رءا كانت تلك القوة الخفية الكامنة فى روحي هى التى

خاطبت قلبي لان تلك القوة أتت فيما مضى بالمعجزات وكنت احبها
من عمل ايديس
ولكن مهما يكن من الامر فان الدرس الذي تعلمته في رؤيتي
حق وصدق

الفصل الخامس والعشرون

في عزلة لا تموت

غادرت خور الممقوتة عند الفجر برفقة الشيوخ الثلاثة المحنطين حاملين معاً جثة كالكرايس. واطن انه لم يلاحظ خروجي أحد لأن الكهنة والكاهنات هالهم ما أصاب رفيقهم رامس فذسوا انتقامهم والتفوا حول جثته. وهم يرتجفون خوفاً ورفقاً داخل هيكل الحقيقة. علم اني شعرت في الواقع بعيني أموناريس تراقباني أو ربما لم اشعر بغير كراهيتها الممقوتة تشيعني

اجتذبت للسهل وقد اسدلت قناباً على ملاحتي للقتالة الى أن وصلت الى كهوف واسعة على شكل مقابر وهنا أضاء المحنطون سراجاً ارونى على بوره قبراً واسمها خاليا ، وكان به تجويفان فوضعت جثة كالكرايس على احدهما واخترت الاخر ليكون سريراً لى. وهكذا اتخذت لى مقاما بين مقابر خور حيث عشت اكثر من الى عام

رافق فيلو الاميرة اموناريس الى خارج المدينة عملاً بامرئ ثم عاد بعد ثلاثة شهور واخبرني انها اجتازت المستنقعات وسافرت على سفينة ابجرت بها شمالاً فلم اشد في سؤاله لاني لم اشأ أن اسمع لعنائها التي صبتها على رأمي وقد رافقها بعض الكهنة وتخلف الباقيون في خور فتزوج الذين كانوا في مستقبل العمر ، منهم وحكوا هناك. وقد مات آخر سلالة منهم استطعت ان اتبع نسبه قبل أن يختلط دمهم بدم البرابرة ،

بعد خمسمائة عام أو أكثر

وطاش فيلو كذلك في خور فاشتغل بالتجارة وقام برحلات تجارية الى الشاطئ فائرى وصار عظيما الى ان ادركته الشيخوخة ذات بين ذراعى ولما اسلم الروح بكيت للمرة الاولى منذ تلك الليلة التى بها في خور لانى صرت بعد ذلك وحيدة .

وقد توسل الى فيلو وهو على فراش الموت ان اسفر عن وجهى قائلا انه يريد أن يري ملاحتى ثانية ففعلت فاخذ يتقرس فى وجهى طويلا ثم قال

— ان هالك فتان مدهش • لعمري لم تنقص ملاحتك ذرة واحدة مما كانت عليه منذ أربعين عاما أي عند ما رأيتك سافرة الوجه لآخر مرة فى هيكل الحقيقة ، بل بالعكس يخيل الى انك زدت ملاحه ، فامعنى هذا يا بنت الحكمة ؟

— معناه ما اخبرتك به من قبل يا فيلو وهو اننى لا أموت حتى تموت العالم ولو اننى قد اتغير

— أما أنا فأنى أموت أموت • هل تفرق الى الابد اذن ؟

— كلا • لا أظن يا فيلو لان الموت لا بد ان يدرك الجميع فى النهاية واذ ذاك سنلتقى ثانية لا محالة

— ارجو ذلك يا بنت الحكمة • انهم يدهونك للساحرة ولا ريب فى انك كذلك لانك تستطيعين ان تقتلى بنظرة ، والشيخوخة لا تعرفك والموت لا سبيل له اليك • ومع ذلك اعلمى يا مائسة سواء كنت امرأة أو ساحرة أو كليتهما انه لن يخلد على الارض أحد

على هذه الحال مات فيلو • ولما كان الشيخوخ المخطون قد ماتوا

أيضا فقد دفنته في المقابر دون ان اتي جسمه من الفساد وقد خسر
بيال أخيراً أن التي عليه نظارة بعد ألف وستائة عام فلم أجد من آثاره
شيئا غير جمجمة رأسه أما عظامه فقد تحولت الى تراب

الان ماذا أقول بعد كل ما رويته ؛ لقد مات الجميع وجاءوا ثانية
في أطنالهم فراقبتهم جيلا بعد جيل وهم ينامون ويترعون ثم يسبرون
في طريق الموت وقد حكمت هؤلاء البرابرة اذا كان هذا يسمى حكمة
فكانوا لي عبيداً يرهبون بطشى وسلطتي ، وكنت أحسن معاملتهم
فاذا اغضبوني قتلهم وكانت هذه هي الوسيلة التي يمكن بها التسلط
عليهم وكبح جماحهم

وفي الواقع كان « أمة حجر » هؤلاء متوحشين شرسين يحبون
الظلام ، اذا عثروا على عذراء بينهم قتلوها بوضع القدور المحيطة على
رؤوسهم ثم اكلوا لحمهم بعد ذلك ومع ذلك كان بينهم عنصر أعظم
نبلا من سلالة قدماء خور او من سلالة السكينة المصريين الذين رافقوني
الى خور ، اذكر من هؤلاء رجلا اسمه بلال يعرفه سيدي ليوفسي
وهو لي على اذمعظمهم كانوا من المتوحشين الخائدين ذوى الانوف الممتوسة
ولكى اخفف من كاهلي عبء العزلة الثقيل اشتغلت بتربية بعض
« امة حجو » وتحولتهم الى اقزام والبعض الآخر الى مرقة ، وقد
استغرقت هذه العملية أجيالا طويلة وأخيراً مللتها فتلاشى جميع هؤلاء
المخلوقات واندجوا في بقية الشعب ثم ربيت طرزا آخر من العم والبنك
فاخلصوا لي واحسنوا خدمتي

ولكن كفى ما ذكرته من ذاك للشعب الذي فرغت منه الى الابد

كيف قضيت تلك الاجيال المروعة ؟ لما وجدت في البداية اني
انتمتع بقوة مدهشة أرسلت روحي الى العالم واخذت اراقب ما يجري
فيه فرأيت حروب الاسكندر وفتوحاته ثم وفاته ثم قيام البطالسة في
مصر وغير ذلك مما جرى في البلدان الاخرى التي كانت لي بها صلة .
هلي اني لم ألبث ان ملت نفسي كل ذلك

قام رجال لا أعرف عنهم شيئاً وتغيرت شعوب . وكانت الرواية
هينها تمثل نبأاً ولكن كان يقوم بتمثيلها أبطال آخرون ، ولما لم تكن
هناك رابطة مشتركة تربطني بهم أو بمطامعهم لم احفل بهم ولا بما لا
يقملون أثناء رحلتهم القصيرة على الارض الى عالم للنسيان حيث يدفنهم
تواب الزمن — وهكذا كان العالم ميتاً في نظري كما كنت ميتة في نظره
أرسلت روحي في السنين التي تلت ذلك لمناجاة الارواح الاخرى
ما كتسبت منها معرفة واستفادت منى حكمة . وفوق ذلك بحثت عن
الموتى في مساكنهم وراء الكواكب فوجدت عدداً غير قليل منهم .
وكانوا يترقون الى معرفة أنباء العالم الذي غادروه فكنت اطلعهم على
ما جرى مقابل ما كانوا يقصونه علي من أنباء العوالم الاخرى وتعرفت
بأمرائهم وحكامهم وجمعت انفتاة المتساقط حول موائدهم وثررت
حنالة خرم الجديدة

هلي اني والاسفاه لم استطع مرة ان أمس هذب ثوب من عرفتهم
على الارض فلم أجد والدي ولا نوت ولا كالكرايس ولا فيساو ولا
بلطيس ولا أمونارس ولم أر في هذا الجمع الذي لا تحصى روحاً واحدة
حاطبتها شفتاي على الارض . نعم لم أعتز على أحد سواء من أحبائي

أو أهدائي ولكن ربما لا يزالون نائمين ..
نظرت الى أسرار الطبيعة فتفتحت لي كما تتفتح الزهرة لنور الشمس
فأعجبت ببها لها وتغنست من عبيرها بحيث لم يبق منها مر مكتوم . وقد
تعلمت كيف أحول الخوف الى ذهب نضار وكيف اسخر البرق لخدمتي
وغير ذلك كثير ، ولكن ما فائدة ذلك كله لي أنا الساكنة في قبر ؟
ان المعرفة منحة لا تجدى مالم تصر خادمة مهمتها عمل الخير للانسان

ثم ماذا فعلت ؟ غرست أشجاراً حول الكهوف ثم راقبتها وهي
تنمو ثم وهي ثورق وترسل أغصانها في الفضاء . وقد ظلت على هذه
الحال مدت من السنين الى ان اصابها العطب في النهاية فشاخت وتحولت
الى أغصان نخرة ثم سقطت وتلاشت وانتهت أيامها الطويلة في النهاية
أما أنا فقد غرست لنفسى أشجاراً أخرى
وقد خشيت ان تمرى السنون والاجيال فلا أستطيع أن أحصى
لها عدا فأخذت أضع في كهف معين حجراً كل عام ، مضت عشرة
أعوام وضعت حجراً أكبر ، وكلما مرت مئة وضعت حجراً أكبر من
الآخر في حين كنت ارمز لكل ألف سنة بهرم صغير ويوجد الان
هرمان في كهوف خور . وكانت هذه خطة جيله استطعت ان أحصى
بها السنين بسهولة

لماذا بقيت في خور؟ ولماذا لم أجب أقطار العالم؟ لاننى لا أستطيع
لان اللعنة التى منيت بها تحتم على البقاء هنا الى ان يعود الى كالكراتس
ثانية ولم يكن لدي شك في عودته . وعلى ذلك لا اخال للعالم قد يجمع
باسير مكبل بسلاسل واغلال أثقل من السلاسل والاغلال التى كبلتنى

بها تلك اللعنة في كهوف خور حنث بتأليه بمد أخرى مع جنت الموتى الباردة. وكنت من حين الى آخر ارفع لغطاء عن جثة كالكرانس وأنظر الى وجهه الاصفر الجميل وأقبله في جبينه البارد ثم ابكي ما شاء لي للبكاء وبعد ذلك القى عليه غطاء جديداً وأسير في طريقى الشاق المولم

ويلاه ! ان كل شيء في هذا العالم يتغير حتى الحجارة الا أنا ولكن هذا هو نصيبى وهذه هى المنحة التى اغدقها على ملك النار الذى اقترنت به وطأته . فهناك جلست بملاحق التى كتب على ان أحفيها لىكي لايجن الرجال عند رؤيتها فاسقيهم كأس الردي وأنسهم بصواعق ارادنى هناك أرسلت أفسكارى الى سماء النأملات وارثفت كؤوس الحكمة التى لم افز منها بطائل اللهم الا تقييد شعورى وحبس روحي

هناك جلست تنهش جسمى عقارب حب رجل مات ، وتشتعل في قلبى نار الغيرة والسكرامية لتلك المرأة التى حملت طامله في بطنها ولقي طاشرته أكثر منى وشغلت المركز الذى كان لى

نعم جلست هناك بين الاطلال والحرائب بينا كانت نيران الزمن الباطية تنقد في صدرى وتغلغل في جسمى حتى تحولت روحي الحارة الى رماد اليأس المر

أواه ! لماذا لم يأت كالكرانس ؟ لماذا لم يأت ؟ لاريب في ان الدائرة قد تمت واكتمل الوقت لعد مل بلا مرء حقول السماء المجهوله وسئمت نفسه غرام الاميرة المصرية . سيأتى بلا ريب وسيأتى حالا فقط ما للعمل اذا كانت أمونارتس لا تزال ترافقه هما كما كانت ترافقه

هناك ؟

أخيراً جاء رجل ولما علمت بقدمه اشتعل قلبي بنار الامل كما
تشتعل شمعة في هذه الكهوف المظلمة ولكن وأسفاه لم يكن هو
وقد علمت ذلك عندما وقعت عيناي عليه من بعيد فانطلقا سراج أمل
وضاقت بي الارض بما رحبت وكدت أبعث هذا الرحالة المسكين الى
قبره على اني ملت اليه فيما بعد لانني وجدت فيه ما ذكرني بفيما

وكان الرجل غريب الاطوار لا يؤمن بشيء لا يقع تحت حسه فلما
أخبرته طرقاً من قصتي وحياتي الطويلة وملاحتي سخر بقولي علانية
وضحك مني فغضبت لعمله هذا ولو انني في الواقع لم أخبره الحقيقة
كلها ، ولكن لا عجب افلست جزءاً من الطبيعة ، وللطبيعة وجوه
متعددة فيرى السائح في الصحراء ما ليس له أثر ولا وجود ، ولو انه
يوجد في أما كن أخرى ؟

نعم حاملت هذا الرحالة وامه أن كما حاملت هوى العالم من بعده
على انه حول ظهره نحوي قائلاً انه رجل لا يعرف قلبه الحب وانه
لا يريد ان يكون كالغراش يحرق جناحيه في لهيب مهما كان لامعاً ، وقد
هيجت من خطته هذه الغريبة وقلت هل أخذت زهرة ملاحتي هذه
تذبل يآري وهل لم تعد لي حاجة الى قناع يحجب وجهي ؟ أو هل زاد
الرحال حكمة عما كانوا ؟ على انني أطلقت قوتي هنيئة فأرغمته على ان
يجثو أمامي وعلمته دروساً بليغة ثم ضحكك منه وتركته

أواه . لقد سئمت نفسي هذه المهمة الطويلة المحزنة ، فلنكن نهاية
قصتي قصيرة

أخيراً . أخيراً جاء كالكراس وقد ولد ثانياً ، ناسياً ماجري ،
متغيراً في الروح ولكنه كان هو في الوجه والجسم . وقد جاء به هولي
الى هنا أو هو الذي جاء بهولي بمد اطلاعه على وصية كتبها أموناراس
على قطعة من الفخار حضت فيها أحد سلالتها على انه يبحث عني
ويقتلني زاعمة ان للموت سبيلا الى

جاء كالكراس ولكنني لم أعلم بحق السماء بقدمه إلا بعد أن أخذني هولى الدميم الخلقة الى فراشه حيث وجدته مصاباً بحمة شديدة وكان على وشك الهلاك ولكنني استطعت بفضل قوتي ومهارتي أن انتشله من مخالب الموت ، ثم كشفت له عن ملاحظتي فيما بعد مدفوعة بقوة وجدى وغرامى وحنانه على عبادتى

بالامعجب لقد وقع ما كنت أخشاه . فقد جاءت أمونارتس في شكل امرأة متوحشة تدعى « أوستين » وكانت قد عشقته ووقعت في شرك غرامه قبل ان يلتقي

قتلت تلك المرأة لانها كانت عنيده لم تشأ مفارقتة ، نعم قتلها مرغمة ولو ان عملي هذا قد احزنني . على ان هذا الامر لم يكن بذى بال لانه لم يلبث أن نسيها وقيد بسلاسل حيي وغرامي

لست في حاجة الى ذكر ما جرى بعد ذلك لان هولي يعرف كل شيء وقد اخبرني انه دون ذلك في كتاب . على اني أقول انه لما لم يكن في وسمي الاقتران بكالكرايس الثاني — الذي عاد الي الآن باسم ليوفنسي — فقد قدته في تلك الطريق المروعة الى ذاك الكهف الخفي حدث تسيير روح الحياة في طريقها الذي لا نهاية له ، فوجدتها بعد ألتى

عام كما كانت في أول مرة . وقد يخشى كالكراتس مرة أخرى أن يدخل
الزيران ليلبس ثوب الجلال ويصير ملك العالم الذي لا يقنى ولا يموت
وعلى ذلك لكي اشجعه على الدخول القيت نفسي مرة أخرى بين أحضان
اله النار - فماذا جرى ؟

قتلنى في هذه المرة . نعم مت ولبست ثوب العار وصرت بشعة
دميمة الخلقة مثل قرد طاعن في السن ومع ذلك منعته روى القوة
أثناء نومي فتتممت في أذن كالكراتس انى سأعود ثانية الى الحياة
والبس ثوب الملاحه مرة أخرى

كلا . لم امت بل تقمصت روى جسم آخر في هذه البلاد الاسيوية
اليمينية وهي موطنى الذي رأيت فيه نور العالم الاول مرة . وهنا
عشت في هذا الدير الجبلى حيث لا يزال هناك أثر لعبادة ملكة السماء
لم يمض عامان أو ثلاثة حتى وجدت لدى القوة فبحثت عن
كالكراتس أو ليوفنسى وكان لا يزال في العالم على قيد الحياة فاربته
الجبال الى اقطن فيها في رؤيا . وكان مخلصاً وفيماً مثل هولى فاتبع
الاثنان تلك الرؤيا وأخذوا يبحثان عن عشرين عاماً مسترشدين بها الى
أن عثرا على في النهاية

وقد اجتاز جميع العقبات والتجارب ونجا كالكراتس أو ليوفنسى
من الشرك الذي نصبت له الملكة « اتين » وهي المرأة التى تجسمت
فيها أمونارتس على الارض مرة أخرى ، وحملت جميع الالهة التى
أرادت يد القدر أن تلقىها على عاتقهما ثم وجد حبلى قوة وخلصاً
فقبل جببنى الخفيف المجمع عند ما اسفرت أمامه عن وجهى فوق الكمة

وقد نال اذ ذاك جزاء اخلاصه اذ تحولت أمام عيني رأسه الى زهرة
كل ملاحه ومجد كل قوة فعبدني وعبدني وعبدني !

الان لا تمضي مدة وجيزة حتى تنزوج وتسقط عنا اللعنة كسلسلة
تكسرت حلقاتها ، ولا تلبث أن تغفر لي خطيئتي وأسير معه جنباً الى
جنب في طريق اللبهاء الذي لا نهاية له ، طريق الفرح التام والسرور
- ولكن الى أية نهاية يؤدي هذا الطريق ياترى ؟ لا أدري حتى في
هذه الساعة

على ان هذا لا يتم الان لان الرجل العاني لا يختلط بي أنا الخالدة
ثم يعيش . الم اقل اني شربت من كأس الحياة وانني سابقي ما دامت
الارض باقية ؟ نعم سأبقى كما أنا ولو تغيرت ألف مرة وساطعها ثابته
ولو انني اختفي في الظاهر ثم أينما ذهبت لا بد أن يتبعني كالكراتس
أو لا بد أن اتبعه لان كلينا واحد ولكن على ان ارفع روحه الى
مستوى روحي

ولكن ، ولكن لا يزال كالكراتس رجلاً من البشر ، والموت يقتني
أثر الانسان . أو اه اشعر برعب يدب في قلبي وأنا اسطر هذه الكلمات .
نعم ان يدي ترتجف على الورق وروحي توجس خيفة . ما العمل اذا
قضى عليه مرض أو حادث فجائي وغادرني مرة أخرى في عزلة واتفراد
فتجدد تلك المأساة المروعة مرة أخرى ؟

ألا سحقاً لك من فكرة جهنمية ! ليست هناك آلهة ، وأنت أيها
القدر انني اسخر منك أنا التي عجزت ندأ لك سأتغلب عليك أيها
القدر أما أنت فلن يكون لك علي من سلطان . ليس هناك غير ذاك

« الخير » الابدى الذى خاطبني في شكل لسان من نار في تلك الليلة
الرهيبة في خور ، فالى ذلك « الخير » وحده احبي الهام
لقد تألمت ! لقد سددت حسابي الى آخر درهم . لقد تحملت . لقد
زرعت بالدموع والالام أجيالا طويلة غان وقت الحصاد ، نعم مات
ليل الاحزان وطلع فجر السرور وبان نوره فوق صخرة السلام
ان سيدي يصعد فوق الجبل كمادة الرجال ، أما أنا فأفكر داخل
الكهوف كمادة النساء ..

« ... هولى . هولى . استيقظ . انظر هناك . ما هذا ؟ أرى سيدي
يتعمرفوق الثلج وقد انشب الوحش الارقط أظافره في عنقه »

الى هنا انتهت أوراق عائشة الخطية . وكانت الكلمات الاخيرة
منها تكاد لا تمرأ وهى مكتوبة بيد مصطربة بلامراء . وفي الواقع
تدل صورتها على انها مكتوبة بيد انسان لا يعي شيئا . وقد ختمت
عائشة هذه الكلمات قصتها التى توجد بقيتها ملخصة في كتاب آخر يسمى
باسمها . والظاهر انها ملت مهمتها أو ربما أحست بحادث النمر الذى كاد
يفضى على حياة ليوفنسى وهو الحادث الذى كان فاتحة ويلات قاسية
أشارت اليها فاربكت عقل عائشة أو ملاته بتكهنات حالت بينها وبين
مواصلة عملها الذي اعربت عن مللها منه من قبل في المؤلف

(تمت)